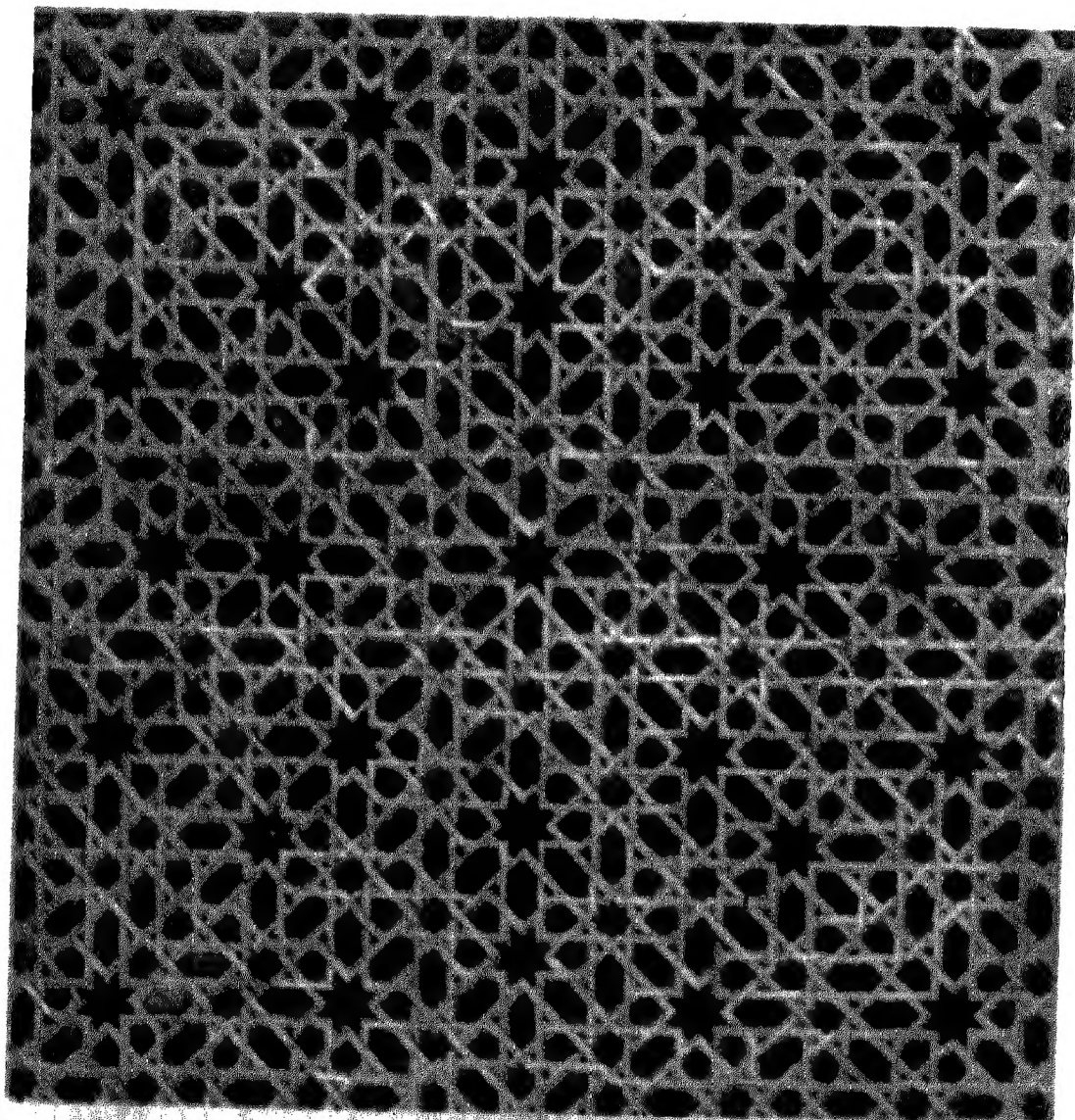


مدى تأقوس وورفا فى التاريخ الربى والوفارى

(للافندلس فى العصر الاسلامى)



مؤسسة شباب الجامعة
د. عبد الله بن عبد الله بن عبد الله
١٩٧٥ - ١٩٨٢ - مكتبة

الشرق
عبد الله بن عبد الله بن عبد الله
مكتبة الآداب - جامعة الإسكندرية

مدینة فاوس و وورها فی الزار عم البای والمغازی

مدى تماقاوس ووزها فى التاريخ البى والوفارى

(لائندلس فى العصر الاسلامى)

الكتورة
سحر السيد العزيز سالم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٠

مؤسسة شباب الجامعة
ع. ش. المكتبة ومطبخ مشرفة
ت ٢١٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

اهداء

الى ابنتى الحبيبة لؤلؤ.

اليك يا من زودتنى بحبك الفياض ، وحنائك المتدفق ، وضمات
صدرك الصغير ، بطاقات هائلة من العزيمة والارادة والامل ...

اليك يا من منحتنى بلمسات كفك الطاهر ، وبسمات وجهك
الصبوح ، ونظرات عينيك البريئة شحنات من الرغبة فى العطاء
والبذل ..

مقدمة

كان لموقع الجغرافى والاستراتيجى الهام الذى تتمتع به قادس فى أقصى الطرف الجنوبى من شبه جزيرة الأندلس أعظم الأثر فى الدور التاريخى المتميز الذى قامت به منذ العصر اليونانى وعبر حقب التاريخ كقاعدة بحرية ومركز تجارى رئيسى فى جنوب الأندلس ، ومع ذلك فإن هذه المدينة العريقة لم تحظ حتى اليوم بما تستحقه من دراسات ، لاسيما فى العصر الاسلامى موضوع هذا البحث ، ربما لصمت المصادر العربية عن الإشارة إليها فى جملة وقائع التاريخ الأندلسى ، ولخلو كتب التراجم من أسماء شخصيات قادسية بارزة فى مجال الفقه ومختلف فروع المعرفة فى الوقت الذى أفاضت وفصلت بالنسبة لمدن الأندلس الأخرى . وكل ما وصلنا عنها من بحوث فى العصر الاسلامى لا يتجاوز بحثا وحيدا ومختصرا للدكتور بدرو مرتينث متابث عنوانه :

Pedro Martinez Montavez, Perfil del Cadiz hispano arabe

أصدره المعهد الاسبانى العربى للثقافة فى مدريد منذ سنوات ، أهتم فيه المؤلف بوصف أبرز معالم قادس التاريخية القديمة فى العصر الاسلامى ، مثل منار قادس وصنمها وجسر المياه والقنطرة . أما فيما عدا ذلك مما كتب عنها فلا يتجاوز صفحة أو أكثر بدائرة المعارف الاسلامية ، وحتى ما ورد فى المصادر العربية الجغرافية لا يعدو نبذا قصيرة ، معظمها فى وصف آثارها القديمة . وقد تساءلت عن السبب فى قلة مازودتنا بد المصادر العربية من معلومات عن هذه المدينة العريقة ، وظننت فى البداية أن مرجع ذلك أن هذه المدينة ، لموقعها المتطرف فى جنوب غربى الأندلس ، وتعرضها لغارات النورمنديين فى عصر الدولة الاموية بالأندلس ، وللصراعات الطائفية المختلفة زمن دويلات الطوائف ، وأحيانا لمرور الحملات الصليبية القادمة من أوروبا الغربية فى طريقها الى بلاد الشام على سواحلها ، أو لبعدها بعض الشيء عن ساحل العدو ،

أو لفقر أرضها من الثروات الطبيعية انعديدة التى حبا بها الله مدن الأندلس الأخرى ، لكل ذلك لم تكن مركزا حضاريا متالقا كغيرها من مدن الأندلس الجنوبية مثل قرطبة واشبيلية والجزيرة الخضراء والمرية ومالقة وجيان ويطليوس وشلب وشنتمرية الغرب ، وبالتالي لم تكن منتجعا للعلماء وطلاب المعرفة ممن حفلت كتب التراجم بأسمائهم وأخبارهم ، وأفاضت في ذكر مآثرهم . ولكن تبين لى أن ما تعرضت له من اعتداءات خارجية وصراعات داخلية لايقاس بما تعرضت له مدن أخرى مصاقبة لها ، أطنبت المصادر العربية في ذكرها ، وفصلت في سرد أخبارها ، ونوهت بالحديث عن علمائها ومشاهير رجالها .

ولهذا فاننى أعتقد أن التفسير الامثل لقلة ما وصلنا من أخبار عنها ، أنها اشتهرت بصنمها الذى كان قائما بأعلى منار يشبه منار الاسكندرية ، وزعموا أن لهذا الصنم الذى يمثل هرقل قدرات تفوق قدرات البشر وطلسم ، منها أنه اذا مآدم استولى النصارى على بلاد الأندلس ، أو أن من يقدم على هدمه يموت قتيلا ، أو أنه اذا سقط أحد المفتاحين من يده كان ذلك نذيرا بخراب الأندلس ، وربما كانت لهذه الاعتقادات التى راجت بين سكان الأندلس الجنوبية أثر كبير في نفورهم من النزول بهذا الموضع أو الاستقرار فيه ، كالأشأن في مدينة طالقة Italica التى كانت خرائبها وتمائيلها من الكثرة بحيث عدت حقلا خصبا للأصنام ، يتخذها أهل الأندلس لتزيين بوابات مدنهم أو حماماتهم ، ومن أمثلة ذلك تمثال الزهراء الذى كان يعلو الباب الرئيسى لمدينة الزهراء وكان يمثل فينوس اليونانية ، وتمثال الصاحبة الذى كان يتوج باب القنطرة بمدينة قرطبة ، والتمثال الذى كان يعلو أحد ابواب بجانة ، وتمثال العقاب بأعلى أحد ابواب المربة ، وتمثال الشطارة بأحد حمامات اشبيلية (١) ، ومصدر هذه التماثيل فيما نعتقد خرائب طالقة ،

(١) عن هذا الموضوع أنظر : السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج ١ ، الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

ولم نسمع لذلك عن أحد علماء الأندلس ينسب الى طالقة . وربما كان انفصال قادس كجزيرة في البحر المحيط تجاه ساحل الأندلس الجنوبي ، وعدم ارتباطها بهذا الساحل لفترة طويلة عاملا أساسيا في زهد الناس عن قصدها والاقامة فيها ، وانصرافهم عن اتخاذها مركزا علميا يتردد عليه طلاب العلم والمعرفة ، فلما تهتم بها ملوك قشتالة بعد استيلائهم عليها ، واهتموا بتعميرها بعناصر اسبانية مسيحية ، وربطوا بينها وبين البر ، واسسوا العديد من المنشآت ، وزودوها بأرباض خارجية مثل ميناء سنثا مارييا El Puerto de Santa Maria وجزيرة سان فرناندو San Fernando ، بدأت تتألق في التاريخ من جديد وتستعيد مجدها الغابر كقاعدة بحرية ومركز تجارى هام في هذا الصقع من أرض الأندلس ، وارتبطت بخط ملاحى مع جزر كنارياس (الجزائر الخالدات) .

ومن الطريف حقا التشابه الكبير بين قادس والاسكندرية في تخطيطهما العام وفي المنار الذى ينتهى من أعلى بتمثال ، فقد كانت كلتاهما جزيرة ارتبطت بالبر وأصبحت شبه جزيرة ، وكان منار قادس صورة مصغرة من منار الاسكندرية (١) ، وربما كان ذلك من الأسباب التى حملتنى على اختيار موضوع قادس موضوعا لهذا البحث . وقد رأيت أن أكتب فى تاريخ هذه المدينة منذ الفتح الاسلامى للأندلس فى سنة ٩٢هـ حتى سقوطها فى أيدي القشتاليين ما بين عامى ٦٥٣ ، ٦٥٨هـ ، مستهدفة تسليط بعض الضوء على دورها التاريخى فى هذه المرحلة من التاريخ ، وهو دور كان يبدو باهتا تماما فى المصادر العربية طوال العصر الاسلامى ، وقد عانيت كثيرا فى تحصيل بعض المعلومات عنها

(١) الزهرى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٩٠ ، وأنظر السيد عبد العزيز سالم ، تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٨٦ عدد ٢٣ ص ١٨٤ .

- ١٠ -

من بطون المصادر المختلفة ، وهى معلومات شحيحة لاتعدو اشارات متناثرة ربما استطعت أن أستنبط منها بعض الحقائق المفيدة واعتمدت على منهج يقوم أساسا على الدراسة الدقيقة للنصوص التاريخية والجغرافية وتحليلها ، واستطعت فى النهاية أن أقدم هذا البحث الذى أرجو أن اكون قد أوفيته حقه من الدراسة ، والله ولى التوفيق .

الاسكندرية أكتوبر ١٩٨٩ سحر السيد عبد العزيز سالم

الفصل الاول

التعريف بقادس

(١) جزيرة قادس : الاسم والموقع والاقليم

(٢) وصف جزيرة قادس

(٣) اهم معالم قادس وآثارها القديمة

١ - جسر المياه

ب - الجباب والصهاريج

ج - منار قادس وصنم هرقل

الفصل الأول

التعريف بقادس

(١)

جزيرة قادس : الاسم والموقع والاقليم

قادس Cadiz مدينة أندلسية موعلة في القدم من بناء الأوائل ، أسست زمن الفينيقيين فيما يقرب من عام ١٥٠٠ ق.م ، وقيل في حدود سنة ١٢٠٠ ق.م. على أسس محلية سابقة على الفينيقيين (١) ، ولذلك فهي تعد على حد قول أويثى ميراندا A. Huici Miranda أقدم مدينة في الغرب (٢) ، وكانت تعرف زمن الفينيقيين باسم كادير أو جادير Gadir ، ومنها اشتق اسمها اليوناني الذي حرفه الرومان الى جادس Gades ، ثم تحول بعد ذلك الى قادس .

وكانت قادس في العصر اليوناني القرطاجني أهم مدينة في شبه جزيرة أيبيريا الى أن نجح الرومان في انتزاعها من أيدي القرطاجنيين سنة ٢٠٦ ق.م . ، ثم أصبحت منذ عام ١٩٥ ق.م مدينة حرة للتجارة ، ومنحت امتيازات أخرى . وفي سنة ٤٩ ق.م زارها يوليوس قيصر

Cadiz, Coleccion España en Paz, P. 13. (١)

Huici Miranda (Ambrosio), Encyclopedia of Islam, Art. Kadis (٢)

P. 383.

ويذكر المقرئ أن أول منطقة عمرت بالسكان في الأندلس كانت جزيرة قادس ، « فدخل اليها بعد أقفارها تلك المدة الطويلة قوم منهم أجلاهم ملك إفريقية تخففا منهم لامحال توالى مع أهل مملكته ، وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم ، فحمل منهم خلقا في السفن مع قائد من قبله يدعى أبطريقس ، فأرسوا بريف الأندلس الغربى ، واحتلوا بجزيرة قادس ، فأصابوا الأندلس قد أمطرت وأخصبت ، فجرت أنهارها ، وانفجرت عيونها . . . » (المقرئ نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ج ١ ، ١٩٤٩ ص ١٣١) .

وسماها Augusta Urbs Julia Gaditana (٣) . ثم عاشت قانس بعد ذلك فترة من الزمان شملها الغموض دارت حولها مجموعة من الأساطير والروايات خاصة فيما يتعلق بتمثال هرقل أو صنم قانس على النحو الذى سنتعرض له فى الصفحات التالية ، الى أن دخلت فى فلك الاسلام ، وعندها بدأ اسمها يتردد بين الحين والحين ، واشتهرت بصنمها ذائع الصيت ومنارها القديم الذى لا يذكر اسم قانس بدون أن يقترن بذكرها ، بحيث أصبحا أهم معالم هذه المدينة ، بل أصبح منارها يقارن بمنار الاسكندرية أحد أعاجيب الدنيا السبعة . ومع ذلك فإن قانس الاسلامية لم تصل الى المستوى الرفيع الذى وصلت اليه قرطبة زمن الخلافة الالهوية ، أو اشبيلية فى عصر دولة الموحدين ، أو غرناطة فى عصر بنى نصر ، فلم تكن تستمد شهرتها من خلال تقدمها العلمى أو الاقتصادى ، اذ كانت عاطلة من كل هذه المميزات ، ولكنها برزت باعتبارها قاعدة بحرية هامة بين القواعد البحرية المشهورة فى الأندلس فى العصر الاسلامى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين (٤) .

Huici Miranda, op. cit., p. 383. (٣)

(٤) نستدل على ذلك من ظهور بنى ميمون حكام قانس فى عصر دولتى المرابطين وبداية عصر دولة الموحدين كاسرة بحرية هامة فى كل من المرية وقانس (ابن الأبار ، الحلة السيرة ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ ج ٢ ص ١٩٣ - أبو بكر بن على الصنهاجى الكنى بالبيدق ، كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٤ ص ١٠٧ - عبد الواحد المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، نشره الأستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٢١٠ - ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قانس - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٥٧) . ويعبر ابن عذارى المراكشى عن المكانة السامية التى كانت تتبوهاها بين مدن الأندلس الأخرى باعتبارها إحدى القواعد البحرية الهامة فى عصر الموحدين ، وذلك فى سياق حديثه عن وقائع عام ٥٧٧ ، فيشير الى =

وقبل أن نبحث عن العوامل التي ساعدت قادم على تبوا مركزها الرفيع كقاعدة بحرية هامة في جنوب الأندلس تجدر الإشارة الى أن قادم وردت في المصادر العربية الجغرافية والتاريخية على أنها

= أن الأساطيل الموحدية في ذلك العام تجمعت بقادم ، ولما استكملت السفن أربعين قطعة نهضت جميعا جهة شلب حيث اشتبكت مع أسطول أهل اشبونة ، وانتصر الأسطول الموحدى في هذه المعركة البحرية ، ويقول ابن عذارى : « وفي هذه السنة (٥٧٧هـ) كانت وقعة أيضا على النصارى في البحر ، وذلك أن قائد سبعة عبد الله بن جامع وهو المولى عليها حين أسر غانم بن مردنيش خرج منها بالأسطول ، وخرج القائد أبو العباس الصقلى من اشبيلية بأساطيلها واجتمعوا جميعا بجزيرة قادم وقد استكملوا أربعين قطعة ، فنهضوا منها بجمعهم الى جهة شلب فالتقوا بأسطول أهل اشبونة بالموضع الذى أسر فيه غانم بن مردنيش في البحر وعكس فيه في المنتصف من محرم من العام الفارط ، فالتقوا الآن في الخامس عشر من محرم أيضا ، وهذا من أغرب الاشياء ، فنصر الله المسلمين في هذا اليوم نصرًا مؤزرا ... » (ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد ابراهيم الكتانى وآخرين ، بيروت ، ١٩٨٥ ص ١٤٤) . واستمرت قادم تؤدي دورها كقاعدة بحرية أو مركز لتجمع الأساطيل الموحدية عند توجهها الى سواحل غرب الأندلس ، وظلت تمارس هذا الدور حتى بعد سقوطها في أيدي القشتاليين ، فبعد استيلائهم على جزيرة قادم اتخذت قاعدة بحرية ومنطلقا لشن الغارات البحرية على السواحل والجزر الاسلامية ويتمثل ذلك في قول ابن عذارى : « فاقسم (ملك قشتالة عندما بلغه نبا تغلب المرينيين على قواته في سلا) ايمان كفره ليعاقبن أشباعه الخاسرة وليطبخن مقدمهم جوان غرسية على فعلته الصادرة ، فاتصل ذلك بجوان المذكور ففر في ثلاثة قراقر الى الاشبونة ، فبقى مقيما بها ، ولم يرجع الى قادم حيث كانت تتجهز الاجفان المذكورة (التى كان قد أعدها الملك القشتالى لتكون مددا لقواته) الا نحو خمسة وعشرين جفنا وسائرهما تفرق الى فريق ... » (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٢) .

جزيرة (٥) ، فعرفت بجزيرة قادس (٦) .

(٥) يذكر الدكتور مؤنس أن هروشيوس ذكر قادس في كتابه (كما ورد في الترجمة العربية التي قام بها قاسم بن أصبغ للأصل اللاتيني) كجزيرة في سياق حديثه عن صنم هرقل وحدود أوروبا . فهورشيوس يرى أن آخر قسم من أوروبا في الغرب بلد الأندلس Hispania والبحر المحيط ، وأقصى ذلك عند جزيرة قادس حيث صنم هرقل (انظر حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٤٢) . وذكر هروشيوس أيضا أن «البلد الذي يدعى الأندلس جميعه محدق عليه الا قليلا بالبحر المحيط والبحر المتوسط ، وهو بلد مركن ذو ثلاثة أركان ، فركنه الواحد يقابل الشرق ، فيما بين بلد أقطانية وبين البحر المتوسط مقابل جزيرة ميورقة ومنورقة ، وهناك يجاور بحر نربونة . وركنه الثاني فيما بين الغرب والجوف بناحية مدينة برغنسية في جليقية حيث الجبل العالى الذى فيه المنارة مقابل بلد برطانية ، وركنه الثالث بناحية جزيرة قادس بين الغرب والقبلة مقابل جبل افريقية المسمى اتلانتش » (أرجع الى : حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٤٨) .

(٦) ورد اسم قادس على أنها جزيرة قادس في جغرافية الأندلس للبكرى (البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق د. عبد الرحمن الحسى ، ص ٧٠) . ويصفها ابن حيان ، عمدة مؤرخى الأندلس بأنها جزيرة (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود مكي ، ص ٢٧٧) . وكذلك يصفها الجغرافى الأندلسى مجهول الاسم وصاحب كتاب ذكر جزيرة الأندلس « بأنها جزيرة في حلق وادى أشبيلية (مجهول ، ذكر جزيرة الأندلس ، ص ٦٥) . ومن الجغرافيين الأندلسيين الذين أطلقوا عليها أيضا اسم جزيرة قادس الشريف الادريسي الذى ذكر هذا الاسم في مواضع عدة من كتابه (الادريسي ، وصنف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، ص ١٧٤ ، ١٧٩ ، ٢٠٤) ، والحميرى في الروض المعطار الذى ذكر أن طول جزيرة قادس من القبلة الى الجوف اثنى عشر ميلا (الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨) وكذلك في سياق حديثه عن ثروة قادس النباتية (الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ ، ص ٣٣ ، ٣٤) . ومنهم ابن سعيد المغربى الذى وصف قادس بأنها جزيرة منقطعة في البحر المحيط (ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د. شوقي ضيف ، ج ١ ، ص ٣٠٩) ومنهم المسعودى في التنبيه والاشراف اذ يصفها بأنها =

ونتساءل هل كانت قادس كما ورد ذكرها في المصادر العربية «جزيرة» بالمفهوم الجغرافى لهذا المصطلح استنادا الى هذا العدد الكبير من النصوص الجغرافية والتاريخية أم انها كانت مجرد مدينة ساحلية يمتد عمرانها في عمق البحر متخذاً شكل رأس بارز على نحو يبرزها بوضوح عن سمت الشريط الساحلى مما أظهرها وكأنها شبه جزيرة اذا ما قورنت بغيرها من مدن الأندلس .

وقد فسر الدكتور محمود على مكى وصف الجغرافيين والمؤرخين العرب لهذه المدينة على انها جزيرة بالتفسير السابق ، فذكر انها كانت تطل على البحر المحيط على هيئة لسان ممتد في البحر بحيث تكون

= جزيرة . (المسعودى ، التنبيه والاشراف ، طبعة بيروت ١٩٦٥ ص ٦٩) وينقل المقرئ من كتب الجغرافية الاندلسية نصوصاً تتعلق بصنم قادس ، منها أن قادس جزيرة ، يقول المقرئ : «كان بنواحي غرب الأندلس ملك يونانى بجزيرة يقال لها قادس وكانت له ابنة في غاية الجمال ٠٠٠» (المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٢٩ ، وانظر نفس المرجع ص ١٣١) ويذكرها مرة أخرى على انها جزيرة في جملة جزر الأندلس البحرية فيقول : « وأما الجزر البحرية فمنها جزيرة قادس » (المقرئ ، المرجع السابق ، ج ١ ص ١٥٦) ومن مؤرخى الأندلس ممن أطلقوا عليها اسم جزيرة قادس ، ابن عذارى المراكشى الذى ذكرها بهذا الاسم في حوادث عام ٥٧٧ هـ بمناسبة اجتماع عبد الله بن جامع قائد اسطول سبته ، مع القائد أبى العباس الصقلئ قائد اساطيل اشبيلية بجزيرة قادس بقصد الخروج للجهاد (ابن عذارى ، البيان المغرب (القسم الخاص بعصر الموحدين) ص ١٤٤) وأورد هذا الاسم مرة ثانية في معرض حديثه عن السيل الشنيع الذى هدد وادى اشبيلية في عام ٥٩٧ هـ (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩) . وأورده مرة ثالثة في إشارة عن قادس في اعقاب سقوطها في أيدي النصارى واتخاذهم لها قاعدة بحرية (ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠) ، ومرة رابعة عندما تحدث عن مصرع على بن عيسى بن ميمون قائد الاسطول (نفس المصدر ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣) . وذكر ابن أبى زرع في الذخيرة السنية أن القائد الرنداجى قتل ثمانين من زعماء الروم بجزيرة قادس (ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٧٦) .

شبه جزيرة ضيقة المدخل في الطرف الجنوبي الغربى من شبه جزيرة
أيبيريا (٧) ، ويتفق الدكتور مكى في ذلك مع رأى الدكتور مؤنس (٨) .

ويرى بعض الباحثين ومنهم د . بدرو مرتينث منتابث أن المؤرخين
والجغرافيين العرب ذكروا قادس على أنها جزيرة ربما لانهم لم يكونوا
يعنون بهذا الاسم قادس المدينة على وجه التحديد وانما كانوا يقصدون
مايتصل بها أيضا من المناطق التابعة لها والقرى والضياح التى كانت
تحيط بها (٩) .

وللتوفيق بين الرأى القائل بأن قادس كانت شبه جزيرة وأطلق
عليها اسم جزيرة قادس تجاوزا على غرار وصفهم للأندلس بأنها جزيرة
الأندلس وذكرهم لبلاد العرب على أنها جزيرة العرب ، وبين الاسم
الذى أجمعت عليه المصادر العربية وهو الجزيرة ، يمكن الافتراض بأن
قادس كانت فى الحقيقة تتخذ شكل لسان برى ممتد فى مياه المحيط ،
وكانها شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاثة جهات ، فى حين كان يحيط
بها من جهة البر نهر برباط أو وادى بكة ، وعلى هذا النحو فان مياه
المحيط والنهر تطوقها من كل جانب مما افسح المجال لتسميتها بجزيرة
قادس . ومع أن هذا القول يبدو لأول وهلة مقبولا ، الا أننا نستبعده ،
لأننا اذا رجعنا فى الواقع الى كل من ابن سعيد وياقوت الحموى

(٧) ابن حيان ، المقتبس ، التعليق رقم ٤٧٩ من تحقيق الدكتور
محمود مكى لهذا الكتاب .

(٨) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٤٥٨ . وكان الاستاذ
ليفى بروفنسال قد اعتبر قادس شبه جزيرة (Lévi - Provençal ,
Histoirc, vol. III, p. 339)

(٩) Pedro Martínez Montavez, Perfil del Cadiz hispano arabe,
Instituto Hispano arabe de Cultura, P. 8.

والمقرى ، فاننا نستنبط من نصوصهم عن قادس أنها كانت جزيرة بالفعل ، ولم تكن شبه جزيرة ترتبط بالبر من جانب ، وتحيط بها مياه البحر من الجوانب الأخرى كما يزعم بعض المؤرخين المحدثين ، فابن سعيد يؤكد بقول قاطع كما سبق أن أشرنا أن قادس « جزيرة منقطعة في البحر المحيط ، وفي بحرها من جهة البر آثار قنطرة كان يدخل عليها الماء الحلو من البر في مدة النصارى » (١٠) . فعبارة منقطعة في البحر المحيط تؤكد صراحة انفصال عمران قادس عن البر ، وتطويق مياه المحيط لها من سائر الجهات ، وإذا كان ثمة اتصال بين البر والجزيرة ، فانما كان يتم عن طريق القنطرة التي ذكر ابن سعيد أنها كانت تحمل إليها الماء الحلو من البر . ويصف المؤلف مجهول الاسم صاحب كتاب « ذكر جزيرة الأندلس » آثار هذه القنطرة التي كانت تقوم على أقواس وأساطين مبنية في وسط البحر فوق الصخور البحرية بقوله : « وجزيرة قادس آثار عجيبة لم يغيرها مر الأزمنة عليها ، قديمة تدل على القوة والمملكة العظيمة ، فمنها القناة الباقية الأثر المنجلبة من حصن طنبليل ، أتى بالماء من على ظهرها على ستة عشر ميلا حتى يبلغ الى قادس ، وهذه القناة مبنية بصم الصخور ، وكان إذا بلغ الماء المواضع المنخفضة والمروج المستكنة رفع على قناطر قد قامت على أساطين وأقواس حتى بلغ الماء ضفة البحر ، ثم نصب له أعلام وقناطر متصلة مبنية في وسط البحر بالصخر المنجور والكلس والرصاص حتى وصل الى جزيرة قادس . . . » (١١) . ويذكر الإدريسي القناطر المذكورة في سياق حديثه عن الطريق الذي يربط اشبيلية بالجزيرة الخضراء ، فيقول : « ومن الجزيرة الخضراء الى مدينة اشبيلية طريقان :

(١٠) ابن سعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د. شوقي ضيف ، ج ١ ص ٣٠٩ .
 (١١) مؤلف مجهول ، ذكر جزيرة الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد ، ١٩٨٣ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

طريق في الماء وطريق في البر ، فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء الى الرمال في البحر الى موقع نهر برباط ثمانية وعشرون ميلا ، ثم الى موقع نهر بكة ستة أميال ، ثم الى الحلق المسمى شنت بيطر اثنا عشر ميلا ، ثم الى القناطر وهي تقابل جزيرة قادس اثنا عشر ميلا ، وبينهما مجاز سبعة ستة أميال ، ومن القناطر تصعد في النهر الى رابطة روضة ثمانية أميال » (١٣) .

وعن القناطر أيضا يقول المقرئ نقلا عن ابن غالب صاحب فرحة الأنفس في حديثه عما صنعه الأول من جلب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس : « جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوف ذكراً في أنثى وشقوا به الجبال ، فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا ، فاذا جاوزها واتصل بالأرض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور ، فاذا صادف سبحة سبحة بنى له رصيف وأجرى عليه ، هكذا الى أن انتهى به الى البحر ، ثم دخل به في البحر وأخرج في جزيرة قادس ، والبنيان الذي عليه الماء في البحر ظاهر بين » (١٣) .
أما الزهرى ، فقد ذكر أن القنطرة التي كانت تزود قادس بالماء العذب كانت مبنية على نهر وادى لكه ، وكانت تتكون من ثلاثين قوسا (١٤) .

(١٢) الادريسي صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق دوزى ودى غويه ، ليدن ١٦٦٨ ص ١٧٧
(١٣) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ١٩٦٧ ص ٤٥٨ . ويعلق الدكتور مؤنس على ما ذكره ابن غالب بقوله أن هذه العبارة غير واضحة ، ويرى أن المراد مما ذكره ابن غالب هو توصيل الأولين للماء من البر الى طرف اللسان الذي تقوم عليه مدينة قادس بواسطة أنابيب تمتد بأعلى جسور معقودة ، من الساحل في أعماق ماء المحيط . وهذا التفسير الذي أورده ابن غالب يؤكد أن قادس لم تكن شبه جزيرة متصلة بالبر عن طريق لسان بارز ، وإنما كانت جزيرة بالفعل يطوقها الماء من كل جانب .
(١٤) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٩ .

ووجود هذه القنطرة يؤكد لنا حقيقة هامة وهى اقتراب جزيرة قادس من البر اقترابا شديدا وعدم توغلها في البحر المحيط مسافة طويلة ، وهذا يعنى كذلك أن جزيرة قادس كان يفصلها عن البر مجاز ضيق أو زقاق ، والا ما اقيمت قنطرة لنقل الماء العذب من البر اليها . ويؤكد المقرئ قول ابن سعيد ، فيذكر جزيرة قادس بين الجزر البحرية ، يقول المقرئ : « وأما الجزر البحرية بالاندلس فمنها جزيرة قادس وهى من أعمال اشبيلية ، وقال ابن سعيد انها من كورة شريش ، ولا منافاة لان شريشا من أعمال اشبيلية كما مر .. » (١٥) .

وهن النصوص الوصفية لقادس والتي تؤكد أيضا أن قادس كانت جزيرة نص ياقوت الحموى في وصف قادس ، فقد ذكر انها « جزيرة في غربى الاندلس تقارب أعمال شذونة طولها اثنا عشر ميلا قربية من البر بينها وبين البر الأعظم خليج صغير قد حازها الى البحر عن البر » (١٦) ولعل هذا الوصف يوضح تماما الصورة التى كانت عليها قادس (١٧) .

(١٥) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٥٦ .

(١٦) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، مادة قادس ، بيروت ١٩٥٧

(١٧) وإذا أخذنا بهذا الوصف الذى أورده ياقوت ، فأننا نستنتج أن قادس كانت تشبه مدينة الاسكندرية القديمة ، فشبه الجزيرة الحالية المعروفة في العصر الاسلامى بشبه جزيرة المنار والتي تمتد حاليا من منطقة رأس التين حتى قلعة قايتباى كانت في الأصل جزيرة تقع قبالة قرية راکوتيس التى اقيمت عليها الاسكندرية ، ولم يكن اللسان الذى يربط بين المدينة والجزيرة ، والذى يشكل قسما عمرانيا هاما من الاسكندرية الحالية قائما آنذاك (أنظر محمد صبحى عبد الحكيم ، مدينة الاسكندرية ، القاهرة ، ص ١٧ ، ١٨) ولا يقتصر التشابه بين الاسكندرية وقادس على ذلك وإنما تتشابه المدينتان أيضا كما سبق أن أشرنا في المقدمة في منارتيهما . والواقع أن منار الاسكندرية المشهور كان الانموذج الذى اقيمت على غرارها منائر مصغره منه أهمها منار قادس ، وفي ذلك يقول الزهرى : « في هذه المدينة قادس المنارة العجيبة وكانت تشبه منارة الاسكندرية ... » (الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٩٠) وقد =

ومن خلال ما وصفها به ابن سعيد وياقوت والمقرئ يمكننا أن نفسر سر
تميزها كقاعدة بحرية هامة في العصر الاسلامى .

أما كيف أصبحت جزيرة قادس شبه جزيرة أو لسان برى ممتد في
البحر المحيط. فان ذلك يرجع في رأى الى احتمال واحد هو ردم (١٨)
المسافة القصيرة الفاصلة بين جزيرة قادس وأرض الأندلس حتى يتغلب
سكان الجزيرة على مشكلة الاتصال بالبر من جهة ومشكلة توصيل المياه
العذبة عن طريق الأنابيب بدلا من الجسور القديمة من جهة أخرى ،
واستبعد تماما احتمالا آخر غير مقبول علميا وأعنى به الترسيبات
النهرية .

وأيما ما كان الأمر فان القنطرة التى كانت توصل المياه العذبة من
وادی لكة الى جزيرة قادس (١٩) كانت تقوم على ثلاثين قوسا ، ويصفها

= ربط أبو حامد الانطاكى بين منار الاسكندرية وبين منار قادس عند
وصفه لهذا المنار (حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ١١١ .
وعن وصف منار الاسكندرية أنظر : المسعودى ، التنبيه والاشراف
ص ٤٧ وعن وصفه لمنار قادس أرجع لنفس المصدر ص ٦٩ وكذلك
المؤلف مجهول الاسم ، ذكر بلاد الأندلس ص ٦٦ ، وعن وصف
المنارتين وأوجه الشبه بينهما : السيد عبد العزيز سالم ، تأثير منار
الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ، ص ١٨٤) .

(١٨) عملية الردم كانت حلا لمشاكل كثيرة ، من ذلك على سبيل المثال
ردم منطقة من مناطق الاسكندرية زمن الحملة الفرنسية على مصر
قرب الباب الأخضر بحيث تكون كوم مرتفع عرف بكوم الناصورة
أقيم بأعلاه برج للمراقبة مازال قائما حتى يومنا هذا . ومنها ردم
أجزاء كثيرة من بحيرة مريوط بالاسكندرية واقامة مراكز عمرانية
عليها ، وردم ترعة الفرخة واستغلال الأرض المحدثه فى شق طريق
فسيح هو شارع قناة السويس .

(١٩) ذكر الجغرافى مجهول الاسم صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس أن
نهر وادی لكة (يسميه وادی لك) كان يصب شرقى قادس وأن أهلها
اعتمدوا عليه فى سقيهم ، وفى ذلك يقول : « وهى (أى قادس)
على ضفة النهر الأعظم ، وفى شرقها النهر المسمى بوادى لك ومنه
يشربون . . . » (أنظر ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥) .

الزهري بقوله : « وفي الجنوب من اشبيلية مدينة قادس ، وكانت على صفة البحر الاعظم (المحيط) وكان في شرقها النهر الاعظم المسمى بوادي لكة ، ومنه كانوا يشربون ويغتسلون ، وكانت عليه قنطرة من ثلاثين قوسا على ما ذكرت الروم في تواريخها ، وكان هذا النهر يخرج الى البحر الاعظم على الفم المسمى بشنت باطر » (٢٠) . كذلك يصفها الجغرافي مجهول الاسم بقوله : « وكانت عليه (نهر وادي لك) قنطرة عظيمة من ثلاثين قوسا » (٢١) .

وكانت جزيرة قادس على حد قول الادريسي تتبع اقليم البحيرة الذي يبدأ من البحر المظلم (المحيط الأطلسي) ويمر مع البحر الشامي ، ويضم من المدن بخلاف قادس جزيرة طريف ، والجزيرة الخضراء وحصن أركش وبكة وشريش وطشانة ومدينة ابن السليم (شذونة) (٢٢) . ولكن الرازي يجعل قادس من بين المدن التابعة لكورة شذونة (٢٣) ، ويحذو حذوه في ذلك كل من ابن غالب (٢٤) ، وابن الكردبوس (٢٥) وياقوت الحموي الذي يصف قادس بأنها « جزيرة في غرب الأندلس تقارب أعمال شذونة » (٢٦) .

(٢٠) الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٩ .

(٢١) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .

(٢٢) الادريسي ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(٢٣) Lévi - Provençal, Description de l'Espagne de Ahmad al-Razi, al - Andalus, vol. XVIII, 1953, pp. 96-97.

(٢٤) ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، نشرها د . أحمد لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٥ .

(٢٥) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، ص ٣٤ ، ٣٦ .

(٢٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مادة قادس .

ويذكر المقرئ في سياق حديثه عن الموقعة التي دارت في رمضان سنة ٩٢ هـ بين جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد وقوات القوط الغربيين بقيادة الملك لذريق بأن اللقاء تم « على وادى لكة من كورة شذونة . » (٢٧) ، ولما كان وادى لكة هو نهر قادس ، فإنه هو ذاته الذي كان يزود أهل جزيرة قادس بالماء العذب (٢٨) ، وكان يصب في البحر المحيط على مقربة منها (٢٩) .

ومن النصوص السابقة نستنتج أن قادس كانت تابعة لنفس كورة وادى لكة وهى كورة شذونة . ويرجع الجغرافى مجهول الاسم جزيرة قادس الى اشبيلية ، فيجعلها في حلق وادى اشبيلية (٣٠) ، ويجعلها ابن عذارى من بين مدن وادى اشبيلية ، فيذكر في معرض حديثه عن سيل عام ٥٩٧ هـ الذى اكتسح كل عمران وادى اشبيلية انه « هلك فيه امم لايحصيهم الا الله وذلك بجفن اشبيلية وبكل من كان بصفى الوادى من قرطبة الى جزيرة قادس » (٣١) . كذلك يعتبر ابن أبى زرع جزيرة قادس من بين مدن وادى اشبيلية ، فقد ذكر في حوادث عام ٦٥٣ هـ أن القائد محمد الرنداجى (والى جزيرة قادس) قتل بوادى اشبيلية (٣٢) ، وسواء قتل الرنداجى في قادس التى كان يتولاها أو في موضع من أحواضها فان تحديد ابن أبى زرع للموضع الذى قتل فيه بوادى اشبيلية

(٢٧) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٤٢ .

(٢٨) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .

(٢٩) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٦ .

(٣٠) مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .

(٣١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الخاص بتاريخ الموحدين ، ص ٢٣٨ .

(٣٢) ابن أبى زرع ، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية ، الرباط ، ١٩٧٢ ص ٨١ .

انما يدل على أن قادس كانت تتبع وادى اشبيلية . ويصف الحميرى قادس بأنها «جزيرة بالاندلس عند طالقة من مدن اشبيلية» (٣٣) .

واذا كان جغرافيو الأندلس ومؤرخوهم قد اختلفوا فيما بينهم على تحديد الكورة أو الاقليم الذى كانت تتبعه قادس فان بعضهم لم يلتزم بتحديد واحد ، فذكر فى موضع آخر تحديدا ثانيا مما أحدث اضطرابا فى روايته . فالزهري يذكر فى سياق حديثه عن نهر وادى لكة الذى كان يشرب منه أهل قادس (٣٤) بأنه « على هذا النهر المعروف بوادى لكة التقى المسلمون مع طارق بجيش لذريق ملك الروم . وفى هذا الموضع قتل وعتا عليه السيف وعلى جيشه الى مدينة استجة ، وهى أول مدينة استفتحها المسلمون فى الأندلس ومدينة شذونة وهى اليوم خالية خربة . . . » (٣٥) . ونفهم من هذا النص أن نهر وادى لكة كان قريبا من شذونة بحيث أنه كان يعتبر نهر هذه الكورة ، وبالتالي فان قادس كانت تتبعها بدورها . ولكن الزهري يكتفى فى موضع آخر من نفس كتابه بالاشارة الى أن قادس مدينة تقع فى جنوب اشبيلية (٣٦) . وبينما يذكر ابن سعيد مدينة قادس فى موضع من كتابه بأنها تتبع كورة شذونة (٣٧) ينقل عنه المقرئ ما يشير الى أن قادس تتبع كورة شريش (٣٨) من أعمال اشبيلية (٣٩) . وبينما يذكر المقرئ أن وادى لكة (وهو وادى

(٣٣) الحميرى ، الروض المعطار فى خبر الاقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ ص ٤٤٨ .

(٣٤) ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ - ابن الكردبوس ، ص ٣٦ .

(٣٥) الزهري ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٣ .

(٣٦) نفس المصدر ، ص ٨٩ .

(٣٧) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٠٩ .

(٣٨) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٥٦ .

(٣٩) المقرئ ، نفس المرجع ص ١٥٦ .

قادس (من كورة شذونة ^(٤٠)) يذكر في موضع آخر ان قادس من اعمال اشبيلية ^(٤١) .

ويمكننا ان نعزو هذا الارتباك بين المؤرخين والجغرافيين العرب وعدم اتفاهم على تحديد الكورة التى كانت تتبعها قادس الى أن هذه المدينة كانت حتى بداية عصر دويلات الطوائف تابعة لكورة شذونة وقاعدتها مدينة شذونة ^(٤٢) Medina Sidonia . وهذه الكورة غير كورة ارشذونة ^(٤٣) Archidona ، فكورة شذونة على حد قول الحميرى كانت تتصل بكورة مورور ، وكان عملها يشمل مساحة خمسين ميلا في مثلها ، وكانت «من الكور المجندة ، نزلها جند فلسطين من العرب . . » . ومن كور شذونة شريش وغيرها ، وفيها كانت الهزيمة على لذريق حين افتتحت الأندلس سنة ست وتسعين « ^(٤٤) » . ويذكر ياقوت أن شذونة « مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي مورور من اعمال الأندلس ، وهى منحرفة عن مورور الى الغرب مائلة الى القبلية . . وهى من اعمال اشبيلية » ^(٤٥) . ومن مدن كورة شذونة بخلاف قاعدتها مدينة شذونة ^(٤٦) مدينة شريش ^(٤٧) وقلشانه ^(٤٨) وقرية شرانة ^(٤٩) وقلعة

(٤٠) نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٤٢ .

(٤١) نفس المرجع ، ج ١ ص ١٥٦ .

(٤٢) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٦ - الحميرى ، المصدر السابق ص ٤٦٦ .

(٤٣) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ ، ٣١٠ .

(٤٤) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .

(٤٥) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة شذونة ص ٣٢٩ .

(٤٦) يذكر الدكتور عبد الرحمن الحجى في تحقيقه لكتاب المسالك والممالك للجغرافى البكرى أن مدينة شذونة تقع على بعد نحو ٤٠ كم جنوب شرقى مدينة قادس في جنوب اسبانيا . ويذكر الحميرى أن مدينة شذونة كانت قبل دخول المسلمين الأندلس قاعدة كورة شذونة ، وأن شذونة المدينة كانت تعرف زمن الحميرى بمدينة ابن السليم ، فقد سكنها بنو السليم واستقروا بها بعد خرابها =

خولان (°) وأركش (°١) وشلوقة (°٢) وقرمونة (°٣) .

= (الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٦٦) . ويذكر الدكتور أحمد مختار العبادى فى سياق حديثه عن موقعة الفتح الأول للأندلس أن مدينة شذونة كانت اسما من أسماء مدينة شريش (أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٣٣) وهو بذلك يخلط بين مدينة شريش ومدينة شذونة ، ويدلل على رايه بأن هناك من المؤرخين من سمى هذه الموقعة بموقعة وادى لكّة أو موقعة شريش ، واعتقد أن تسمية معركة وادى لكّة بمعركة وادى شريش لا ينهض دليلا على أن مدينة شذونة اسم من أسماء شريش .

(٤٧) ذكر ياقوت الحموى أن مدينة شريش كانت قاعدة كورة شذونة (ياقوت ، معجم البلدان ، مادة شريش ص ٣٤٠) وعن شريش أرجع الى ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، ص ٣٠٢ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٤٠ .

(٤٨) يذكر الحميرى (الروض المعطار ، ص ٤٦٦) أن قلشانة من كورة شذونة وأنها تقع على نهر وادى لكّة وأن نهر بوطه (لعله برباط) يصب فى نهر وادى لكّة على مقربة منها ، ويضيف الحميرى أن قلشانة كانت مقر العمال والقواد الدين يتولون على شذونة الكورة ، وأن قاعدة شذونة مدينة شذونة التى عرفت أيضا فى عصره بمدينة ابن السليم ، وأن المسافة بين مدينة قلشانة ومدينة شذونة أو ابن السليم ٢٥ ميلا . ويذكر الادريسي أن من مدن كورة شذونة مدينة غلسانة وربما كان يقصد بها قلشانة (الادريسي ، المصدر السابق ، ص ١٧٤) .

(٤٩) ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٥٠) المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

(٥١) ابن الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٤٢ هامش ١ . ويذكر دكتور مؤنس أن أركش كانت فى التقسيم الادارى للأندلس تابعة لكورة شريش - شذونة ، وهى اليوم تتبع مديرية قادس وتقع على بعد خمسين كم . شمال شرقى القاعدة قادس .

(٥٢) دارت مناقشات عديدة حول أسماء بعض المواضع التابعة لكورة شذونة التى وقعت فيها المعركة الحاسمة الأولى بين جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط الغربيين ، ومن بين المواضع التى كانت مثارا لتلك المناقشات موضع «السواقي» الذى اعتبره كثير من المؤرخين أمثال سافدرا Saavedra الملاذ الأخير الذى لجأ اليه =

ونستنتج مما سبق ذكره أن كورة شذونة (التي كانت تتبعها قادس) كانت تشتمل حتى منتصف عصر دويلات الطوائف على مساحة واسعة من الأرض تبلغ نحو خمسين ميلاً مربعاً في الركن الجنوبي الغربي من الأندلس ، بحذاء الساحل حتى مصب نهر الوادي الكبير شمالاً . وكانت تحدها من جهة الشرق كورة الجزيرة (الجزيرة الخضراء Algeciras) ومن الجنوب اقليم البحيرة Laguna de la Janda (٥٤) ، ومن جهة الشمال كورة مورور Moron ، ومن الغرب البحر المحيط (٥٥) .

وكان ينزل بكورة شذونة قبيلة بربرية هي بنو خزرون ، الذين سيطروا على هذه المنطقة وأسسوا بها إحدى الإمارات البربرية الصغيرة في عصر دويلات الطوائف . وبنو خزرون يرجعون إلى قبيلة يرنيان أو ارنيان من زنانة (٥٦) ، وكان زعيمهم أبو عبد الله محمد بن خزرون

= لذريق بعد هزيمته على أيدي قوات موسى بن نصير ، وقد ذكر الدكتور مختار العبادي في تحقيقه لتاريخ ابن الكردبوس أن السواقي هو اسم محرف لمدينة شلوقة إحدى مدن كورة شذونة وهو الرأي الذي أدلى به ليفي بروفنسال في دراسته لوصف الأندلس للرازي (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٥) ووضح أن هذا الرأي لا أساس له من الصحة لبعد المخارج الصوتية لكلمة السواقي من مخارج لفظة شلوقة .

(٥٣) ذكر الادريسي قرمونة من بين مدن كورة شذونة (الادريسي ، المصدر السابق ، ص ١٧٤) .

(٥٤) وإن كان الادريسي يجعل قادس والجزيرة الخضراء ضمن اقليم البحيرة كما سبق أن ذكرنا . وإقليم البحيرة هذا هو المنطقة التي كانت تكثر فيها المستنقعات ، وجعلها طارق حاجزاً بينه وبين القوط في معركة الفتح الأولى (أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ ص ٣١) .

(٥٥) ابن الكردبوس ، ص ٣٤ .

(٥٦) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٣ ص ٢٣٠ (عصر دويلات الطوائف) وانظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، القاهرة ١٩٦١ ص ١٥٣ .

بن عبدون الخزري الرنداجي (٥٧) ، وكان قد وفد مع غيره من طائفة البربر ايام الدولة العامرية ، واستقل أيام الفتنة بمدينة قلشانة من كورة شذونة في عام ٤٠٢هـ أول الأمر ، ثم استولى على أركش وعلى كافة الانحاء المجاورة للكورة بعد ذلك ، وتلقب بعماد الدولة .

وخلف عبدون أباه أبا عبد الله محمد بن خزرون في سنة ٤٢٠هـ (٥٨) (١٠٢٩م) على امارة شذونة وأركش ، وبايعته المدن المجاورة لأركش ومنها قلشانة وشريش وقادس (٥٩) ، وظل يحكم هذه الامارة زهاء خمس وعشرين سنة . وكان عبدون هذا صاحب كورة شذونة (٦٠) أحد الأمراء البربر الأربعة الذين بايعوا (٦١) لمحمد بن القاسم بن حمود الحسنى ، وقدموه للخلافة بالجزيرة الخضراء ، وهم اسحق بن محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة ، ومحمد بن نوح الدمري صاحب مورور ، وياديس بن حبوس صاحب غرناطة وأعمالها ، وعبدون بن خزرون صاحب أركش وماحولها . وبهذا نرجح أن تكون قادس تابعة لكورة شذونة حتى أواخر عهد عبدون بن خزرون الذي لقي مصرعه في سنة ٤٦١هـ بسبب مؤامرة دبرها المعتضد ابن عباد صاحب اشبيلية (٦٢) .

-
- (٥٧) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٣٨ .
 (٥٨) ابن عذارى ، البيان ج ٣ (عصر الطوائف) ص ٢٩٤ .
 (٥٩) يقول ابن عذارى : « وليها بعد أبيه بوصيته ، فقام بها ، وبايعته البلاد المجاورة لأركش وشريش والجزيرة وقلسانه ٠٠٠ » (ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٩٤) . ومن المرجح أن يكون المقصود بالجزيرة هنا جزيرة قادس لقربها من هذه المدن ، فمن المنطقي أن تكون جزيرة قادس هي المقصودة بوقوعها في يد ابن خزرون بدلا من الجزيرة الخضراء التي نستبعد لها لبعداها عن شريش وأركش وقلشانة ، وقرب قادس منها .
 (٦٠) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٣٩ .
 (٦١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٣٠ .
 (٦٢) كان المعتضد ابن عباد يستهدف الاستيلاء على ممتلكات ابن خزرون في شذونة ، وأبى نور بن أبى قررة صاحب رندة ، ومحمد بن نوح الدمري صاحب مورور ، فدبر لهم مؤامرة قتلهم فيها ، ثم =

ویمصرع عبدون بن خزرون علی ید المعتضد ابن عباد ، ومحمد بن خزرون آخر امراء هذه الأسرة ، تدخل امارته فی فلك مملكة ابن عباد بأشبيلية ، ولذلك فاننا نرجح تبعية قادس منذ ذلك الحين لأشبيلية ، شأنها فی ذلك شأن بقية مدن كورة شذونة ، وربما استمرت كذلك حتى أواخر العصر الاسلامی ، وبهذا نعلل أختلاف المصادر العربية حول تحديد الكورة التي كانت تتبعها قادس بأختلاف الظروف السياسية التي مرت بها الأندلس عبر حقبة التاريخ الاسلامی .

= استولى علی بلادهم (ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٧١ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٣٨) .

(٢)

وصف جزيرة قادس

يبلغ طول جزيرة قادس نحو ١٢ ميلا وعرضها ميلا واحدا (٦٣)،
ويصف جغرافيو العرب ومؤرخوهم الأندلس بأنها تتخذ شكل مثلث تشغل
قادس زاويته الجنوبية ، وفي ذلك يقول الرازى : « وشكلها مثلث (أى
الأندلس) وهى معتمده على ثلاثة أركان : الأول هو الموضع الذى فيه
صنم قادس المشهور بالأندلس ، ومنه مخرج البحر المتوسط الشامى
الآخذ بقبلى الأندلس ، والركن الثانى هو بشرقى الأندلس بين مدينة
نربونة ومدينة برديل مما بأيدى الفرنجة اليوم بازاء جزيرتى ميورقة
ومنورقة بمجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط ، وبينهما
البر الذى يعرف بالأبواب (٦٤) ، وهو المدخل الى بلاد الأندلس من
الأرض الكبيرة على بلد افرنجة ومسافته بين البحرين مسيرة يومين ،
ومدينة نربونة تقابل البحر المحيط ، والركن الثالث منها هو ما بين
الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفى على البحر ، وفيها
الصنم العالى المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية » (٦٥)،
وينقل أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام الرواية
السابقة عن الرازى ، فيقول : « وصفة الأندلس شكل مركان على مثال
الشكل المثلث ، ركنها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع
البحرين عند صنم قادس ، وركنها الثانى فى بلد جليقية حيث الصنم
المشبه صنم قادس مقابل جزيرة برلمانية ، وركنها الثالث بين مدينة
نربونة ومدينة برديل ٠٠٠ » (٦٦) . وقد أخذ جميع جغرافيو الأندلس

(٦٣) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ -

Pedro Martinez, op. cit., p. 10

(٦٤) هو ما يعرف بالبرتات أو البرت ، والأبواب ترجمة عربية لها .

(٦٥) المقرئ (نقلا عن أحمد بن محمد بن موسى الرازى) ، ج ١ ص

١٢٨ .

(٦٦) المقرئ ، نفح الطيب (نقلا عن ابن النظام) ، ج ١ ص ١٣٠ .

بهذا الوصف ومنهم البكرى والعذرى وابن غالب والادريسي والحميرى وكذلك طائفة من مؤرخى الأندلس وفي مقدمتهم ابن عذارى المراكشى والمقرى . فالبكرى ، يذكر أن من أركان الأندلس الركن الذى فيه صنم قادم « بين المغرب والقبلة بازاء جبل افريقية ٠٠٠ » (٦٧) ، والحميرى يذكر أن من أركانها الموضع الذى « فيه صنم قادم بين المغرب والقبلة ٠٠ » (٦٨) ، وابن عذارى يردد نفس العبارة تقريبا (٦٩) .

وأهم السمات التى يمكن أن نلاحظها فى جغرافية المنطقة المحيطة بقادس أو ما يسمى بكورة شذونة البحيرة المسماة لاخاندا Laguna de la Janda (٧٠) ، وكذلك بعض السلاسل الجبلية ومنها جبل مقعد البابا La Silla del Papa ، وسلسلة جبال الرتين La Sierra del Retin (٧١) . وتحصر البحيرة بينها وبين سيرا دل رتين سهلا فسيحا كان يتسم بالمنعة بحكم الحماية التى تسبغها عليه البحيرة من ناحية ، والجبل المطل عليه من ناحية أخرى (٧٢) . وربما كانت هذه الجبال هى نفس الجبال التى ذكر الزهرى أنها تقع جنوبى شذونة ، وفى ذلك يقول : «ومما يلى هذا الموضع فى الجنوب الجبال المعروفة بجبال الصوف ، وهى متصلة بجبل طارق ، وجبال تاكرونة

(٦٧) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق د. عبد الرحمن على الحجي ، بيروت ١٩٦٨ ص ٦٥ .

(٦٨) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٣٢ .

(٦٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ (طبعة بيروت) ص ١

(٧٠) عبد الواحد ذنون طه ، دراسات فى التاريخ الأندلسى ، مقال بعذوان : نظرة عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق ومعركة كورة شذونة ، الموصل ، ١٩٨٧ ، ص ١٧ .

(٧١) حسين مؤنس ، فتح المسلمين الأندلس ، دعوة الى ترديد النظر فى الموضوع ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، المجلد ١٨ ، ص ٨١ .

(٧٢) عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

وجبال أرجونه « (٧٣) . ويذكر الزهرى أيضا أن ركننا من أركان جبل تاكرونة كان يفصل بين رابطة روضة وقادس (٧٤) . ويحدثنا المقرئ نقلا عن ابن سعيد بأن الركن الثالث من الأندلس بمقربة من جبل الأغن (وصحتها الأغر) حيث صنم قادس ، « والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الأندلس الجنوبي الى جبل البرت المذكور » (٧٥) .

أما الأنهار التى تجرى فى المنطقة فأهمها نهر برياط Rio Barbate الذى يخترق البحيرة ويصب فى المحيط الاطلسى ، وكان فى هذا الموضع بليدة لاوجود لها فى الوقت الحاضر كانت تعرف باسم بكة ، وكانت تقع على مقربة من نهر آخر يجرى قريبا من نهر برياط ، ويصب بدوره فى المحيط الأطلسى عند موضع يقال له شنت بيطر (٧٦) . هذا النهر الاخير أطلق عليه اسم وادى بكة ، وحرف الى وادى لكة Guadalete ويرى بعض الباحثين أن نهر برياط هو نفسه نهر وادى لكة (٧٧) ، بينما

(٧٣) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٣ .

(٧٤) الزهرى ، نفس المصدر ، ص ٨٩ .

(٧٥) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٧٦) الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٨٩ وقد أورد الادريسي اسم هذا الموضع فى كتابه نزهة المشتاق فى سياق حديثه عن المسافة من الجزيرة الخضراء الى اشبيلية عبر الطريق المائى فذكر أن من « الجزيرة الخضراء الى الرمال فى البحر الى موقع نهر برياط ٢٨ ميلا ، ثم الى موقع وادى بكة ستة أميال ، ثم الى الحلق المسمى شنت بيطر ١٢ ميلا ، ثم الى القناطر وهى تقابل جزيرة قادس ١٢ ميلا . » (الادريسي ، المصدر السابق ، ص ١٧٧) .

(٧٧) عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ -

E. Saavedra, Estudio Sobre la invasión de los Arabes en España, Madrid, 1892, p. 68.

ويذكر ابن عذارى أن النهر الذى اقتتل عنده طارق بن زياد ولذريق كان يعرف بوادى الطين (ابن عذارى ، المصدر السابق ، =

يرى فريق آخر أن نهر برباط هو نهر آخر غير نهر وادى لكة وإن كان كلاهما يصب في المحيط الأطلسي ، فنهر برباط يخترق البحيرة ثم يصب في المحيط الأطلسي (٧٨) ، أما وادى لكة فيخترق أراضي كورة شذونة بنواحي مدينة شريش ، ويصب في المحيط أيضا على مقربة من جزيرة قادس (٧٩) .

وربما يرجع السبب في هذا الاختلاف في الرأي حول نهر وادى لكة ووادى برباط الى تعدد الآراء والمناقشات الطويلة التي دارت حول الموقعة الأولى التي خاضها المسلمون عند فتحهم للأندلس ، وحول الاسم الذي أطلق على أرض المعركة وعن موقعه على وجه التحديد (٨٠) .

= (ج ٢ ص ٧) . وقد فسر د . السيد عبد العزيز سالم هذه التسمية بقلعة مياه النهر وكثرة الطين فيه التي حد أن فرس لذريق ساخ فيه . ويذكر الدكتور سالم أن ابن عبد الحكم أطلق على هذا الوادى الذي دارت على ضفافه الموقعة اسم وادى أم حكيم (انظر ابن عبد الحكم ، فتوح أفريقية والأندلس نشر البير جاتو Albert Gateau الجزائر ١٩٤٧ ص ٩٤ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٧٩ هامش ٤) . وربما ذكرنا اسم هذا الوادى بالجزيرة الخضراء التي أطلق عليها اسم جزيرة أم حكيم نسبة الى جارية لطارق بن زياد حملها معه أثناء الفتح (أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٩) . ولم يذكر د . عبد العزيز سالم في كتابه ما يتعلق بأسماء نهر وادى لكة ، وإنما ذكر أن الموقعة الأولى التي خاضها المسلمون عند الفتح بقيادة طارق قد أطلق عليها اسم موقعة وادى لكة ، وأحيانا أخرى موقعة نهر برباط نظرا لامتداد ساحة المعركة واتساعها وعدم انحصارها في موقع محدد . ويتفق معه في ذلك د . أحمد مختار العبادي عندما يسمى الموقعة بموقعة كورة شذونة (السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٧٩ - أحمد مختار العبادي ، تحقيق كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٤ ، ٣٦) .

(٧٨) كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، ص ٣٤ .

(٧٩) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٩ .

(٨٠) يرى البعض أن المعركة دارت عند وادى لكة بالقرب من شريش ولذلك أطلقوا عليها اسم معركة وادى لكة (السيد عبد العزيز سالم ، =

ونحن نميل الى الاخذ بالرأى القائل بأن نهر برباط هو نهر آخر غير نهر وادى لكّة استنادا على نص أورده الادريسي في سياق حديثه عن الطريقين البرية والمائية اللتين كانتا تربطان الجزيرة الخضراء باشبيلية، ونطالع فيه ما يلي : « فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء الى الرمال في البحر الى موقع نهر برباط ثمانية وعشرون ميلا ، ثم الى موقع نهر بكّة ستة اميال»^(٨١) ، وفي هذا النص تمييز واضح بين النهرين لا مجال للشك فيه .

وأيما كان الامر فأننا نستخلص من كل هذا العرض أن كورة شذونة كانت غنية بالمجارى المائية ، وأن نهر وادى لكّة كان يصب في المحيط على مقربة من قادس استنادا الى نص الادريسي الذي نطالع فيه : « وذلك أن النهر الذي يمر بقرطبة من هذا الجبل ^(٨٢) يخرج من هذا الجبل من مجتمع مياه كالغدير ظاهر في نفس الجبل ، ثم يغوص تحت الجبل ويخرج من مكان في أسفل الجبل فيتصل جريه غربا الى جبل نجدة الى غادرة الى قرب مدينة أبده الى أسفل مدينة بياسة . . . الى اشبيلية ، الى قبطان ، الى قبتور ، الى طربشانه ، الى المساجد ، الى قادس ثم

= تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٧٠) - وهناك من يرى أن الموقعة دارت عند اقليم البحيرة ووادى برباط. (Saavedra, op. cit., pp. 68, 69) ، وأن وادى لكّة هو اسم من الاسماء التي أطلقت عليه . وهناك من يرى أن الموقعة دارت عند البحيرة وأن اسم وادى لكّة هو تعريب من كلمة لاجو lago الاسبانية Lacus باللاتينية بمعنى البحيرة

(Lévi - Provençal Histoire de l'Espagne musulmane, Paris 1951, t. I, P. 20).

(٨١) الادريسي ، المصدر السابق ص ١٧٧ .
(٨٢) المقصود بهذا الجبل جبل بيبدأ عند مدينة شقورة ذكر الادريسي أنه كان يخرج من أسفله نهران أحدهما نهر قرطبة وهو النهر الذي نتحدث عنه في المتن (نهر الوادى الكبير) والآخر نهر مرسية أو نهر أوربوله الذى يعرف بالوادى الابيض Guadalaviar (الادريسي المصدر السابق ، ص ١٩٤ - ١٩٦) .

الى بحر الظلمات » (٨٣) . وهكذا نستدل من نص الادريسي أن نهر قرطبة وهو نهر الوادى الكبير كان يصب فى البحر المحيط بالقرب من قادس أو فى نواحيها .

وكانت قادس نقطة البداية فى الطريق الرومانية العظمى المعروفة باسم المحجة العظمى *Via Augusta* ، ومن المعروف أن الطرق الرومانية القديمة ظلت تؤدى وظائفها فى العصر الاسلامى وأن هذا الطريق الاعظم تعرض لتغيرات متعددة طوال هذا العصر (٨٤) . وكان هذا الطريق يمر باشبيلية ثم بقرطبة ويخرج من بابها المعروف بباب رومية أو باب عبد الجبار (٨٥) ، ثم من باب عباس من أبواب الشرقية بقرطبة (٨٦) ، ويمر بمدينة سرقسطة الى طركونة الى أربونة وينتهى برومة العظمى . ويذكر ابن بشكوال أن باب رومية من أبواب قرطبة كانت تلتقى فيه الثلاثة رصف التى تشق دائرة الأرض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى أربونة مرة فى الأرض الكبيرة (٨٧) .

(٨٣) الادريسي ، نفس المصدر ، ص ١٩٦

(٨٤) Pedro Martinez, op. cit. P. 15.

(٨٥) نسبة الى عبد الجبار بن خطاب بن مروان بن نذير أحد كبار الجند الشاميين الذين دخلوا الأندلس مع بلج بن بشر القشيري بموافقة عبد الملك بن قطن الفهري أمير الأندلس . وأقام عبد الجبار بقرطبة مايقرب من ثلاث سنوات ثم انتقل بعدها الى تدمير فيما يقرب من عام ١٢٨هـ وهناك صاهر تدمير القوطى صاحب أوربولة وأنجب من زوجته القوطية ابنه خطاب الذى ينسب اليه سلسلة من الذرارى . (لمزيد من المعلومات ، أرجع الى سحر السيد عبد العزيز سالم ، بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري ، الاسكندرية ١٩٨٩) .

(٨٦) ابن الأبار ، كتاب التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق ونشر جنثالث بلنثيه ، مدريد ١٩١٥ ، ص ٥٦١ .

(٨٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٣٨٧ =

وكانت القناطر التى تربط قادس كجزيرة بأرض الأندلس همزة الوصل بين هذه الجزيرة وبين سائر المدن الأخرى فى كورة شذونة ، فشريش على سبيل المثال كان بينها وبين قادس نحو ١٢ ميلا ، ستة أميال منها فى البر ، وستة فى البحر (٨٨) . وكان الادريسي قد أوضح فى موضع من كتابه أن القناطر تقع فى مواجهة جزيرة قادس وأن بينهما مجاز طوله ٦ أميال (٨٩) .

= والمقصود بالرصف الثلاثة ، الطرق الرومانية القديمة *Viae Romanae* المعبدة المرصوفة ، ولهذا سميت بالرصف ، والمصطلح الأندلسى «رصيف» يطلق على الطريق الرومانى القديم وعلى كل طريق مرصوف . ويذكر الدكتور حسين مؤنس أن قرطبة كانت شبكة موصلات اقليم باطقة ، أى حوض نهر الوادى الكبير ، وكانت تتفرع منها ستة رصف . أولها رصيف هرقل *Via Herculae* أو *Via Augusta* ثم رصيفان رئيسيان يشرع أحدهما الى طليطلة ، ومن طليطلة الى سرقسطة ، وهناك يلتقى برصيف أغسطس ، والثانى يشرع الى أنتقيره فمالقة ومنها الى طركونة وبرشلونة والى امبرياس حيث يلتقى برصيف أغسطس ، والرصف الثلاثة الأخرى المتبقية ، يخرج أحداها من قرطبة الى مدلين فالاشبونة ، والثانى يخرج من قرطبة الى قرمونة واشبيلية فقادس أى أنه استمرار للرصيف الاغسطى ، والثالث يصل الى صحراء صفرة *Zafra*

(٨٨) الادريسي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦

(٨٩) المصدر السابق ، ص ١٧٧

(٣)

أهم معالم جزيرة قادس وآثارها القديمة

١ - جسر المياه :

اطلق الجغرافيون العرب اسم القناطر (٩٠) على جسر المياه الذى كان قائما قرب مصب نهر وادى لكه (٩١) ويربط قادس بالبر ، وكان هذا الجسر يقوم على ثلاثين قوسا (٩٢) . ويذكر الجغرافى مجهول الاسم لأن الموضع الذى كان يبدأ منه مد المياه العذبة من نهر وادى لكه كان يطلق عليه اسم «حصن طنزيل» ويقع على بعد ستة عشر ميلا من قادس (٩٣) . وكانت المياه الحلوة تتدفق داخل أنابيب تمتد على قناطر قائمة على عمد متصلة حتى ساحل البحر المحيط ، ومن هناك ترتفع مرة أخرى على عقود تقوم على أرجل شيدت من الحجارة المساء والكلس والرصاص واستقرت أسسها فى قاع البحر ، وتواصل المياه جريها بأعلى هذه القناطر حتى تصل الى جزيرة قادس (٩٤) .

ب - الجباب والصهاريج :

بالإضافة الى الجسر الذى أشرنا اليه كانت قادس مزودة بصهاريج (٩٥) وجباب لحفظ المياه العذبة التى كانت تصل الى أهل الجزيرة من البر عبر القناطر ، ويصف الزهرى شكل هذه الصهاريج ، فيذكر أن سطوحها كانت محببة وملونة بأبدع الالوان ، وأنها كانت

(٩٠) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ - الادريسي ، ص ١٧٧ - الزهرى ، ص ٨٩ ، ٩٢ - مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٤٥٨ .

(٩١) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥

(٩٢) الزهرى ، ص ٨٩

(٩٣) مجهول ، المصدر السابق ، ص ٦٥

(٩٤) نفس المصدر ، ص ٦٥ .

(٩٥) الزهرى ، ص ٩٢

تزدان بزخارف هندسية على هيئة مثلثات ودوائر ، وكل شكل من هذه الاشكال كان يختلف تماما عن الشكل الآخر ، وأن هذه الصهاريج صنعت من مادة لاتتأثر بالنار ولا بالماء .

وكانت هذه الصهاريج تتلقى مياهها من جسر المياه سالف الذكر ، وفي ذلك يقول الزهرى : «وكان ملك قادس رجلا من القوط اسمه سنبطرين ، وهو الذى جلب الماء من جبل تاكرونة الى قادس وجوزة على شنت باطر ، وفي ذلك الجبل والخرزات حتى الى القصر الذى بمدينة قادس الى الصهاريج التى كانت لها السطوح المشهورة الذكر ، وهى من اعجب ماصنع على وجه الأرض ، ذلك انها مسطحة بحب كحب السمسم وعلى قدره ، ملونة بأبداع الألوان ، قد اتقنت على خواتم ودارات ومثلثات لاتشبه صنعة الواحدة صنعة الأخرى ، قد التصقت بأرق اللصاق والأغرية التى لايعمل فيها الماء ولا النار شيئا . وكانت تلك المياه تنصب فى تلك الصهاريج » (٩٦) .

ويسوق الزهرى فى كتابه الجغرافية قصة أسطورية يذكر فيها انه كانت بقادس دار على صفة الصهريج الأعظم عرفت بدار التن (٩٧) ، وكان بهذه الدار طلسم يجذب اليه أسماك التن فى شهر مايو من كل عام . ويبدو أن الملكة (زوجة الملك سنت باطر) طلبت من زوجها أن يفتح بابا فى ركن جبل تاكرونة (٩٨) ليدخل من البحر الى نهر وادى لكة ذراعان من الماء ، فتزيد مياه النهر وتدخل فيه أصناف مختلفة من الأسماك والتن . ولكن الملك تردد بادى ذى بدء فى الأخذ بمشورة زوجه خوفا على قادس من الغرق ، الا أن زوجته واصلت الحاحها عليه حتى

(٩٦) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٠
 (٩٧) التن نوع من الاسماك كان يتوافر فى هذه المنطقة
 (٩٨) الزهرى ، نفس المصدر ، ص ٩٠

استجاب لها ، فامر العرفاء والصناع بشق الطريق الذى يربط قادس بروطة ، فلما دخل ماء البحر والتقى بماء وادى لكة ازدحم الماء حتى كاد يغمر الجسر ، وتسبب فى اغراق معظم جزيرة قادس باستثناء جزيرة صغيرة (٩٩) .

ج - منار قادس وصنم هرقل :

لا يرد ذكر قادس فى المصادر العربية الا ويقترن بصنمها والمنار واعمدة هرقل ، وقد اثار تردد ذكر صنم قادس العديد من التساؤلات حول المقصود بهذا الصنم الشهير . فقد كان بقادس منار يتشابه على حد قول الزهرى (١٠٠) كثيرا مع منار الاسكندرية ، بل يفهم من رواية الزهرى انه كان صورة مصغرة من ذلك المنار ، ويؤكد ابو حامد الغرناطى ذلك التشابه عندما يصف منار قادس وصنمه الذى يعلوه بعد ان انتهى من وصفه لمنار الاسكندرية (١٠١) . كان منار قادس مربع القاعدة ، بنى من الحجارة المصقولة ، وكان ارتفاعه يصل الى مائة ذراع ، وكانت تزين اوجوه عقود قائمة على اعمدة من النحاس الأحمر . وكان يتألف من طابقين مربعى الشكل ، العلوى منهما اصغر حجما من الادنى ، اذ كان يقدر بثلاث حجم المربع الادنى ، وكان يتوج الطابق العلوى طابق هرمى الشكل نصب باعلى راسه لوح من الرخام مربع الشكل ناصع البياض يشكل قاعدة لتمثال آدمى عرف فى المصادر العربية باسم صنم قادس ، على غرار التمثال الذى كان يتوج منار الاسكندرية (١٠٢) .

(٩٩) نفس المصدر ، ص ٩٢

(١٠٠) نفسه ، ص ٩٠

(١٠١) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ، ص ٣١١

(١٠٢) كان يعلو الطابق الثانى فى منارة الاسكندرية طابق اسطوانى الشكل ارتفاعه ١٥ مترا ينتهى من اعلاه بجوسق قائم على ثمان اعمدة من الجرانيت مكلل ببناء مثلث الشكل ينتهى راسه بتمثال ضخيم من البرونز ارتفاعه ٧ أمتار يمثل اله البحر بوسيدون (السيد عبد العزيز سالم ، تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والاندلس ، ص ١٨٥) .

ويعصف الزهرى منار قادس وصف المشاهد له فيقول : «وكان في هذه المدينة المنارة العجيبة وكانت تشبه منارة الاسكندرية ، وكان ارتفاعها مائة ذراع . وكانت مربعة مبنية بالكاذان الاحرش المحكم النجارة معقود بأعمدة النحاس الأحمر . وكان في رأس هذه المنارة مربع ثان قدر ثلث الاول . وكان في رأس هذا المربع الصغير شكل مثلث محدود له أربعة اوجه على كل وجه من المربع الصغير وجه من المثلث ، ففى رأس تحديد المثلث رخامة بيضاء مربعة من شبرين في شبرين ، وعلى تلك الرخامة تمثال على صورة ابن آدم من ابداع مايكون من الاتقان واحسن ما يكون من الانشاء » (١٠٣) . وذكر المسعودى انه كان يعلو منار قادس عمود عليه تمثال من النحاس كان يرى من شذونة ، لعظمه وارتفاعه (١٠٤) . وقد عرف منار قادس في الروايات اللاتينية باسم اعمدة هرقل Columnae Herculis (١٠٥) .

أما الصنم فتذكر بعض المصادر العربية انه من عمل هرقلش أو اركلش من ملوك الروم الاغريق (١٠٦) ، وقد جعل فيه صورة نفسه مفرغة من نحاس كرجل متوشح برداء من منكببه الى انصاف ساقيه ، يتجه

(١٠٣) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٠ وارجع الى المؤلف المجهول ، ذكر بلاد الأندلس ص ٦٦ ، وأنظر السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(١٠٤) المسعودى ، التنبيه والاشراف ، ص ٦٩ .

(١٠٥) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(١٠٦) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٧٠ - الجغرافى مجهول الاسم ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٦ - الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ . ويسوق كل من ياقوت الحموى والمقرى رواية جاء فيها أن أحد ملوك الاغريق بجزيرة قادس كانت له ابنة جميلة تنافس ملوك الأندلس على خطبتها ، فاشترطت الابنة على المتنافسين أن ينشئوا رعى بقادس لاستخدامها في حصولهم على اقواتهم اليومية أو أن يتخذوا طلسما ليحصنوا به الأندلس ، وكان هذا الطلسم هو صنم قادس (أنظر ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قادس - المقرى ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣١) .

بوجهه جهة المغرب «وقد ضم عليه وشاحه ، فى يده اليمنى مفتاح من حديد وهو مادها نحو المغرب وفى اليسرى صفيحة من رصاص منقوشة فيها ذكر خبره » (١٠٧) ، ويذكر كل من الزهرى والجغرافى مجهول الاسم ان هذا التمثال كان يمد ذراعه اليسرى الى الشمال وهو يقبض أنامله مشيراً بسببته الى الزقاق وكأنه يشير الى الطريق ، أما يده اليمنى فكانت تقبض على عصا وكأنه يشير بها الى الطريق هداية للمسافرين (١٠٨) ويعلق الزهرى الذى قدر له ان يشاهد منار قادس والصنم اعلاه قبل ان يتعرضا للهدم سنة ٥٤٥ هـ (١١٤٩/١١٥٠م) على الروايات المتواترة بين الناس بأن كثيراً من الناس كانوا يظنون انه يحمل مفتاحاً بدلاً من العصا ، فى حين انه لم ير بيد التمثال أى مفتاح ، وإنما كان بيده عصا طولها اثنى عشر شبراً ، ويعبر عن ذلك بقوله : « لقد رأيته مراراً ولم أر فى يده مفتاحاً ، وإنما يظهر فى يده شبه عود صغير لبعده من الأرض ، ولقد اخبرنى من حضر هدم الصنم وكان من العرفاء الذين حضروا هدم تلك المنارة ان الذى كان بيده عصا طولها اثنى عشر شبراً ، وفى رأسها شكاشف كالفرجلة » (١٠٩) .

وكان معظم اهل قادس يعتقدون ان هذا التمثال قد صنع من الذهب الأحمر بسبب تغير لونه كلما تعرض لضوء الشمس عند شروقها او غروبها ، ويتلون بلونها ، فتارة يخضر ، وتارة يحمر ، وتارة يتخذ لون اللازورد (١١٠) . ويذكر الحميرى ان هذا الصنم كان ينتصب على منار قادس فى وسط الجزيرة (١١١) وأن ارتفاعه مع ارتفاع المنار ،

-
- (١٠٧) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ - ابن حيان ، المقتبس تحقيق الدكتور محمود على مكى (عصر الاميرين عبد الرحمن الأوسط ومحمد) ص ٥٨٨ تعليق ٤٨٠ .
 (١٠٨) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٠
 (١٠٩) الزهرى ، نفس المصدر ، ص ٩٠
 (١١٠) نفس المصدر ، ص ٩٠
 (١١١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨

أى من أدنى المنار الى رأس التمثال ، كان يصل الى نحو مائة وأربعة وعشرين ذراعا ، بمعنى أن ارتفاع التمثال وحده كان يبلغ ٢٤ ذراعا على أساس أن ارتفاع المنار نفسه كان يبلغ مائة ذراع على حد قول الزهرى (١١٢) .

وأصبح ذلك التمثال موضوعا للقصاص الشعبى والروايات الأسطورية والتنبؤات الخرافية ، من ذلك أنه اذا سقط أحد المفتاحين من يد التمثال كان ذلك ايذانا باشتعال نار الفتنة فى الأندلس ، أما اذا سقط المفتاح الاخر فان ذلك يكون نذيرا بخراب الاندلس (١١٣) . وقيل أيضا أن صنم قادمس «موضوع على بلاد الأندلس ، فجعل رأسه لطليطلة ، وصدره لقرطبة ، وكذلك أعضاؤه قسمها عضوا عضوا على بلاد الأندلس ، فمتى أصاب عضوا من هذه الأعضاء آفة حلت بذلك القطر الذى من قسمته آفة » (١١٤) . وقيل أيضا أنه اذا هدم صنم قادمس استولى النصرارى على بلاد الأندلس ، فلما هدم هذا الصنم على يد على بن عيسى بن ميمون «دخل النصرارى قرطبة وملكوها » (١١٥) .

(١١٢) الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٩٠
 (١١٣) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨
 (١١٤) الحميرى ، نفس المصدر ، ص ٤٤٩
 (١١٥) فى جمادى الآخرة من سنة ٥٤٠هـ زحف ابن غانية (أبو زكريا يحيى) الى قرطبة على رأس فرقة من قوات النصرارى ، تغلب بفضلهم على قوات أبى جعفر أحمد بن محمد بن حمدين التائى على المرابطين فى قرطبة (وكان قد بويى بالامارة وتلقب بأمر المسلمين وناصر الدين المنصور بالله) فى موقعة دارت فى أحواز استجه (ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٥٣) ، ثم دخلت قواته قرطبة فى ١٢ شعبان سنة ٥٤٠هـ ، ودخل النصرارى قرطبة وعاثوا فى مسجدھا الجامع ، وربطوا خيولهم فى أروقتها وأقاموا قداسا حافلا ، وتناولوا بأيديهم المصحف العثمانى (ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، ص ٣٠) فاثاروا بذلك غضب أهل قرطبة ، ثم خرجوا منها بعد عشرة أيام من دخولها . وهذه القصة خرافية لان هدم الصنم وقع بعد احتلال النصرارى لقرطبة بخمسة أعوام .

كما شاع بين أهل الأندلس أن من يقدم على هدم صنم قادم
« يموت مقتولا وكذلك كان » (١١٦) فقد اتفق أن على بن عيسى بن
ميمون الذي هدم الصنم (١١٧) مات قتيلا (١١٨) الأمر الذي أكد لدى
الاهالي هذه التنبؤات وساعد على ترويجها . وزعم أهل جزيرة قادم
أن من يركب سفينته ويبحر ويغيب عن صنم قادم يظهر له صنم ثان
مثله ، فاذا وصل اليه وتجاوز به بدا له صنم ثالث ، فراجع الى سبعة
أصنام الى أن يجد نفسه في بلاد الهند (١١٩) . وقيل أن أهل الأندلس
كانوا يظنون أن هذا الصنم طلسم وأنه متى هدم تتوقف الملاحة في البحر
الى الشام ، واتفق أن هدم ابن ميمون صنم قادم سنة ٥٤٥هـ وانتظر
الناس ما يحدث ، فلم يتغير من الأمر شيء ، واستمرت حركة الملاحة
والإبحار على ما كانت عليه فيما عدا حركة المجوس التي توقفت بسبب
هدم المنار ، وفي ذلك يقول الزهري : « وكان هذا الطلسم الذي هدم
يعرض لهم في فم الزقاق فيدخلون عليه الى هذا البحر الصغير ويصلون
الى أطراف الشام . ومنذ هدمت هذه المنارة لم يخرج من تلك القراير
الا اثنتان انكسرت احدهما على مرسى المجوس ، وانكسرت الأخرى
على طرف الآخر ، وكان ذلك سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، ولم
تخرج بعد ذلك ولم تتعطل في البحر حركة ولا سفر الا هذه الحركة التي

-
- (١١٦) الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٤٩
(١١٧) ذكر الحميري أن على بن عيسى بن ميمون أقدم على هدم الصنم
ظنانه أن بداخله كنوز ضخمة وأنه محشو تبراً ، « فدعا له
الرجال والبنات ، وأخذوا في قطع حجر منه ، وكلما قطعوا حجراً
دعموا مكانه بدعامة من خشب ، حتى وقف ذلك الجرم العظيم
على الدعائم ، ثم رموا الى الخشب النار ، بعدما ملأوا الخل
الذي بين الخشب حطباً ، فسقط جميعه ، وكانت له رجفة عظيمة ،
واستخرج الرصاص المعقود بالحجارة والنحاس الذي كان منه الصنم
وكان مذهبا ، وبردت في يديه من مطلبه الخيبة » (الحميري ، ص
٤٤٩) .
(١١٨) البيهقي ، كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، الجزائر ، ١٩٧٤ ،
ص ١٢٣ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .
(١١٩) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٤٤٩

للمجوس بسبب تلك المنارة » (١٣٠) . وتتمثل أهمية هذا الخبر في أنه يؤكد أن غارات النورماندين على سواحل الأندلس الجنوبية وعلى الأخص على جزيرة قادس لم تنقطع حتى العام الذي تهدم فيه منار قادس وصنمها سنة ٥٤٥ هـ ، وكان الرأي الشائع قبل ذلك أن آخر غارات النورماندين على سواحل الأندلس وقعت فيما بين عامي ٣٥٥ ، ٣٦٠ هـ (١٣١) .

ومن الروايات الغريبة التي ترددت حول صنم قادس مازعمه جمهور كبير من أهل الأندلس ، أشاعوا أن صنم قادس كان يحول دون هبوب الرياح على البحر المحيط مما تسبب في عرقلة السفن عن الملاحة فيه ، وقيل أن هدم هذا الصنم يسر للسفن أن تسير فيه (١٣٣) .

ونختتم دراستنا لصنم قادس بأبيات من الشعر من نظم موسى بن شخيص يصف سفينة تتهاذى في بحر قادس تجاه الصنم :

ورجراجة الأرداف مواراة الخطا

تهادى وليست من حسان الأوانس

الى أن ترى الشخص الملقع موفيا

على الصنم الموفى على بحر قادس

ولما نزلنا تحته قال صاحبي

أعاجيب روم أو أعاجيب فارس

(١٢٠) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٢
 (١٢١) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، الاسكندرية ، ص ١٨٠ -
 Pedro Martinez, op. cit., P. 26

(١٢٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٢٧

فقلنا له خفض سؤالك والتمس

نجاتك من هول البحار الطوامس (١٣٣)

د - الأربطة والقلاع :

تميزت قادس وما يليها بعدد من المنشآت الهامة منها قلعة حصينة اقيمت على مقربة منها رابطة روطه (١٣٤) . وفي فضل روطه أن أبا محمد عبد الملك بن حبيب ذكر أن من رابط فيها صائما غفرت له ذنوب سبعين عاما (١٣٥) . وقد ألف هذا الفقيه في رابطة روطه مصنفًا ضخما افرده لذكر فضائل هذه الرابطة .

ومن حصون قادس كذلك حصن الملعب وشتت بيطر (١٣٦) ، ويقع هذا الحصن الاخير على الضفة الشرقية من مصب وادى لكه في البحر المحيط (١٣٧) وكان مزودا بكنيسة شهيرة كان لها مكانة كبيرة عند نصارى هذه الكورة (١٣٨) .

-
- (١٢٣) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٩
 (١٢٤) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥
 (١٢٥) الزهرى ، كتاب الجغرافية ص ٨٩ . وروطه بليدة بساحل مدينة شريش قرب مدخل خليج قادس على المحيط الاطلسى ، وبها رباط معظم ومسجد مشهور بالبركة يزورها أهل الأندلس قاطبة كل عام .
 (١٢٦) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .
 (١٢٧) الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٨٩
 (١٢٨) مجهول ، المصدر السابق ، ص ٦٥

الفصل الثانى

تاريخ جزيرة قادس منذ الفتح الاسلامى للاندلس حتى

سقوط الخلافة الأموية

(١) فتح المسلمين لجزيرة قادس

(٢) قادس فى عصر الامارة الأموية

١ - غزوة النورمان الاولى سنة ٢٢٩هـ

ب - الغارة النورمندية الثانية سنة ٢٤٥هـ

ج - هواية الصيد بجزيرة قادس زمن الامير محمد

د - قادس فى عصر دويلات الطوائف الاول (٢٧٢هـ - ٣١٦هـ)

الفصل الثانى

تاريخ جزيرة قادس منذ الفتح الاسلامى للاندلس

حتى سقوط الخلافة الأموية

(١)

فتح المسلمين لجزيرة قادس

من الحقائق المسلم بها ان تاريخ الفتح الاسلامى لهذه الجزيرة مازال يكتنفه الغموض ، ومن الصعب تحديد هذا التاريخ على وجه الدقة ، وان كان من المرجح أن قادس شهدت أضواء الاسلام اثر احدى الحملتين اللتين حسمتا فتح الاندلس ، ويرجع السبب فى هذا الغموض الى أن المصادر العربية أغفلت ذكر قادس من بين أسماء المدن التى تم فتحها ، ربما لأنها كانت جزيرة ليس لها من الاهمية ما كان للمدن الأخرى القريبة منها كشذونة وأركش واشبيلية ، وان كان ذلك التعليل لم يمنع من ورود اسم جزر أخرى غير قادس مثل جزيرة طريف والجزيرة الخضراء بين أسماء المدن والجزر التى افتتحها المسلمون .

وإمام اغفال اسم قادس من قائمة المدن المفتوحة لانجد أمامنا لتحديد تاريخ الفتح الاسلامى لقادس سوى ثلاث احتمالات : أولها أن تكون قادس قد افتتحت عقب انتصار طارق بن زياد مباشرة فى الموقعة الحاسمة الاولى سنة ٩٢هـ لاسيما أن هذه الموقعة التى ورد اسمها فى أربعة صور (موقعة وادى لكه^(١) أو نهر برباط^(٢) أو موقعة

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٨ ، وقيل وادى بكه (ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٧) .

(٢) هو النهر الذى يخرق بحيرة لاختندا وانظر فى ذلك :

(E.) Saavedra, op. cit., p. 68.

البحيرة (٣) أو موقعة شذونة (٤)) دارت على مقربة من البحيرة اى
فى نواحي جزيرة قادس .

والاحتمال الثانى ان تكون قادس قد افنتحت على يد موسى بن
نصير أو على يد احد ابنائه فى حملته الكبرى الى الاندلس سنة ٩٣هـ
وذلك عقب نزوله بالجزيرة الخضراء ، وتوجهه الى شذونة التى افنتحتها
عنوة (٥) .

وأما الاحتمال الثالث أن تكون قادس من بين المدن التى افنتحتها
عبد العزيز بن موسى بن نصير بعد رحيل أبيه الى المشرق ، وان كنا
نعرف من المصادر العربية أن عبد العزيز اهتم بفتح غرب الاندلس
وشرقيها بالاضافة الى القسم الشمالى الشرقى منها .

فبالنسبة للاحتمال الاول نجد لزاما علينا أن نتقصى خط سير
طارق بن زياد بعد انتصاره على قوات لذريق فى موقعة وادى لكة ،
ونستدل من المصادر العربية أن طارق رأى - ربما بمشورة يلىان - أن
يستغل انتصاره الحاسم على القوط ليستولى على حاضرتهم قبل أن
يفوق القوط من صدمتهم ، ويلموا من جديد شعث عسكرهم ، وفلول قواتهم .
وتجمع المصادر على أن طارق بن زياد استولى على استجة Ecija
وسير من هناك عدة فرق الى مدن مختلفة من الاندلس ، فأرسل قوة

(٣) الأخبار مجموعة فى فتح الاندلس ، نشر وتحقيق لافونتى القنطرة ،
مدريد ، ١٩٦٧ ص ٩ وأنظر كذلك .

Lévi - Provençal, Histoire, t.I, pp. 20,21.

(٤) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ،
ص ٩٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٤ .

من الفرسان بقيادة مغيث الرومي (٥) مولى عبد الملك بن مروان (٦) في قول ، ألو مولى الوليد بن عبد الملك في قول آخر (٧) ، فاستولى عليها عفوا بدون قتال ، وفر حاكمها القوطى بمن معه من الحماة الى كنيسة شنت أبلح San Asciclo الواقعة خارج أسوار قرطبة من جهة الغرب ، فحاصرها المسلمون ثلاثة أشهر انتهت باستيلائهم عليها (٨) ، كما وجه جيشا آخر الى البيرة ونواحيها واستولى عليها ، وجيشا ثالثا الى مالقة قاعدة كورة رية (٩) . أما هو فقد زحف على رأس القوة العظمى من جيشه الى طليطلة العاصمة القوطية (١٠) عبر طريق رومانى قديم كان يعرف باسم طريق هانيبال يمر بجيان (١١) Jaen

(٥) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٩ - أخبار مجموعة ، ص ٧ - ٩ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٩ - المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٤٤ ، وأنظر أيضا السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٠ - ٢٨ .
(٦) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ٩ .
(٧) المقرئ ، نفح الطيب ، نقلا عن الرازى ، ج ١ ص ٢٤٤ .
وعن مغيث الرومي أنظر : محمد أحمد أبو الفضل ، بنو مغيث الرومي .

(٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٠ - أحمد مختار العبادى ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٦ . وعن فتح قرطبة أنظر السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس ، ج ١ ص ٢٧ ، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٨٤ - ٩٠ .

(٩) أخبار مجموعة ، ص ١٠ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ١١ - المقرئ ، نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٤ . ويستبعد د. ذنون طه أن يكون طارق قد أفتتح هذه المدن باستثناء قرطبة (أنظر عبد الواحد ذنون طه ، دراسات أندلسية ، الموصل ، ١٩٨٦ ص ١٧) .
(١٠) يقول المؤرخ المجهول صاحب أخبار مجموعة «وسار هو في عظم الناس يريد طليطلة» (أخبار مجموعة ، ص ١٠) ويقول ابن عذارى : «وتقدم معظم الجيش الى طليطلة» (ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ١١) .

(١١) Saavedra, op. cit. P. 78.

وأنظر أيضا حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٧٨ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٨٣ .

ومنتيسة Montesa ، ونجح أخيرا في دخول طليطلة دون أن يلقى أى مقاومة من أهلها (١٢) وخلقى بها رجالا من أصحابه (١٣) .

ولم يرد في أى مصدر من المصادر العربية التى أوردت تفاصيل الفتح الاسلامى للأندلس ما يشير الى أن طارق افتتح مدنا من كورة شذونة ، وانما اقتصر فتوحه على قرطبة ومالقة وغرناطة (البيرة) وطليطلة ومدينة المائدة (عرفت فيما بعد باسم قلعة عبد السلام وتعرف الآن باسم قلعة هنارس Alcala de Henares) . وعلى هذا النحو أصبح الاحتمال الأول في حكم المستبعد ، وبذلك يخرج من دائرة النقاش ، ويبقى أمامنا الاحتمالان الآخران ، اما أن تكون قادس قد فتحت على يد موسى بن نصير أو على يد ابنه عبد العزيز .

لم يمض على حملة طارق عام واحد حتى كان موسى بن نصير يعتبر الزقاق بقوات كثيفة معظمها من شيوخ العرب عدتها ١٨ ألفا (١٤) اما لينال نصيبه من شرف الفتح كما تزعم المصادر العربية ، أو لتعريب الأندلس بهذا العدد الضخم من أجناد العرب ، أو لأسباب عسكرية تستهدف تطهير الجيوب الغربية من شبه جزيرة أيبيريا من المقاومة القوطية المتزايدة في هذه النواحي تثبتنا للمرحلة الاولى من الفتح أو لكل هذه العوامل مجتمعة .

ونزلت قوات موسى بادية ذى بدء بساحل الجزيرة الخضراء ، وتباحث في الجزيرة الخضراء مع «العلوج الأدلاء» في أى الوجهات يتقدم بقواته ، فدلوه على طريق الغرب ونصحوه بالبدء بشذونة ، ويقول في

(١٢) أحمد، مختار العبادى ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٦ - السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ص ٨٣
(١٣) أخبار مجموعة ، ص ١٤ .
(١٤) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٢

ذلك صاحب أخبار مجموعة : « فساروا به الى مدينة شذونة فأفتتحها عنوة ، ألقوا بأيديهم اليه ، ثم سار الى مدينة قرمونة ، فقدم اليه العلوج الذين معه ، وهى مدينة ليس بالاندلس أحصن منها ولا أبعد من أن ترجى بقتال أو حصار » (١٥) ، ويأتى ابن عذارى فى البيان المغرب برواية مماثلة لرواية صاحب أخبار مجموعة (١٦) .

ويبدو أن موسى لم يفتتح مدينة شذونة وحدها ، وإنما افتتح قسما كبيرا من كورتها ، بالإضافة الى المدينة نفسها ، فابن القوطية وابن حيان (عن المقرئ) يؤكدان افتتاح موسى لسواحل شذونة كذلك ، ولما كانت مدينة شذونة مدينة داخلية لاتطل على البحر ، فإننا نرجح أن تكون فتوحات موسى قد امتدت الى نواحي أخرى من كورة شذونة حتى وصلت الى ساحلها ، ونستند فى ذلك الى الروايتين اللتين أشرنا اليهما، فالرواية الأولى لابن القوطية تتضمن نصا يؤكد أن موسى مضى بقواته من الجزيرة الخضراء الى ساحل شذونة ، يقول ابن القوطية أنه لما صار موسى فى أهل العدو « ترك المدخل الذى دخل منه طارق بن زياد وقصد الموضع المعروف بمرسى موسى ، وترك طريق طارق وأخذ فى ساحل شذونة ، وكان دخوله بعد طارق على سنة » (١٧) . أما الرواية الثانية لابن حيان والتى ساقها المقرئ فى نفح الطيب فنطالع فيها النص التالى: « فساروا به فى جانب ساحل شذونة ، فأفتتحها عنوة ، وألقوا بأيديهم اليه ، ثم سار الى مدينة قرمونة وليس بالاندلس أحصن منها ... » (١٨)

وبعد أن أفتتح موسى شذونة وسواحلها وقرمونة ، مضى رأسا

(١٥) أخبار مجموعة ، ص ١٥ ، ١٦ .

(١٦) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٣

(١٧) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٨

(١٨) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢

الى اشبيلية (١٩) ، فحاصرها حصارا طويلا استمر شهورا ، ثم افتتحها في نهاية الأمر ، ثم تقدم منها الى لقنت Fuente del Canto ثم الى ماردة Merida . وكان عجم اشبيلية (أى أهل المدينة من القوط وبقايا اللاتين) قد فروا منها الى باجة Beja ولبلة Niebla عند حصار موسى لها ، فلما رحل موسى الى لقنت ثم ماردة انتهزوا هذه الفرصة واجتمعوا من مدينتى باجة ولبلة وانتقضوا على المسلمين ، فسير اليهم موسى بن نصير وهو بماردة ابنه عبد العزيز فى قوة من اجناده ، فاستعادها ، وقتل من ثار من أهلها ، ثم مضى الى لبلة وافتتحها ، واستقرت الأمور بعد ذلك (٢٠) .

واستنادا الى ما سبق عرضه نرجح ان يكون فتح قادس قد تم على يد موسى بن نصير ، اما عند شروعه فى فتح كورة شدونة ، او عند توجهه لفتح اشبيلية ، وذلك لقرب قادس من اشبيلية .

ونصل الى الاحتمال الثالث ، وهو ان يكون فتح قادس قد تم على يد عبد العزيز بن موسى ، وكان موسى قد استخلفه على الاندلس قبل ان يخرج الى المشرق ، فاتخذ عبد العزيز من اشبيلية مقرا له ، « فضبط سلطانها ، وضم نشرها ، وسد ثغورها ، وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقى على ابيه موسى » (٢١) . وذكر المقرئ ان موسى بن نصير اختار له اشبيلية بالذات مقرا له «لاتصالها بالبحر نظرا لقربه من مكاره المجاز » (٢٢) .

(١٩) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٩ - وانظر Anwar G. Chejne, Historia de España Musulmana, Madrid, p. 20 - Antonio Ramos Oliviera, Historia de España, la Edad Media, Mexico, 1974, P. 28.

(٢٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ - المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(٢١) نص الرازى نقله ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٤

(٢٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ٢٥٨ .

- ٥٥ -

ونستدل من النص الذى أورده ابن عذارى نقلا عن الرازى على أن عبد العزيز بن موسى أقدم بعد استقراره بأشبيلية على فتح المناطق القريبة منها ، وقد تكون قادس من بين المواضع التى وصلت إليها قواته فى سنى إمارته ، وهو مالم تنص عليه المصادر ، كما أنه بعيد الاحتمال . واعتقد أن عبد العزيز كان مهتما بفتح المدائن الكبرى بغرب الأندلس مثل لشبونة وشنترين وشلب وقلمرية ، وكذلك المناطق الشرقية والشمالية الشرقية من الأندلس مثل أوريوله وتدمير وبلنسية وبرشلونة وجرندة . أما جزيرة قادس فكانت فى تقديرنا من بين المواضع التى افتتحها أبوه من قبل استنادا لما اثبتناه من حقائق تاريخية .

(٢)

قادس في عصر الامارة الأموية

١ - الغارة النورمندية الأولى على سواحل الأندلس الجنوبية

الغربية سنة ٢٢٩هـ (٨٤٤م)

تصمت المصادر العربية عن ذكر قادس في الفترة ما بين فتح المسلمين للأندلس حتى بداية الغارات النورمندية (٣٣) على سواحل غرب

(٢٣) وزد اسم 'النورمنديين في المصادر العربية بصورتين : اردمانيون ومجوس . ويعلل مؤرخو العرب تسميتهم بالمجوس بأنهم كانوا يشعلون النار في كل موضع يمرون به ، فحسبهم المسلمون مجوسا لذلك (السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٢) وربما أطلقت عليهم هذه التسمية تحريفا من لفظة روتى التي كانت تطلق على صقالبة حوض نهري الفولجا والدينير (حسين مؤنس ، غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١ مجلد ٢ ، مايو ١٩٤٩ ص ٢٦ ، والسيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ١٥٣) . وأما لفظة 'الاردمانيين « فهي محرفة من لفظة النورمانيين ، فقد اعتاد أهل الأندلس قلب الذون الى همزة مثل أربونة من نربونة . والنورمنديون جنس آري قديم كان يسكن شبه جزيرة اسكندناوة وجزيرة جوتلند في العصور القديمة ، ومنذ القرن التاسع الميلادي تزايدت أعدادهم في أوطانهم ، فبدأوا في النزوح عنها ، وخرجوا في موجتين : الأولى شرقية عبر فيها سكان المناطق الشرقية من شبه جزيرة أسكندناوة (السويد حاليا) الى المنطقة الممتدة من بحر قزوين الى البحر الاسود والمحيطة بنهر الفولجا ، والموجة الثانية خرجت من السواحل الغربية لشبه الجزيرة الى سواحل انجلترا وايرلندا ، في طوابع عنيفة بحيث اضطروا ملوك وسكس الى التخلي عن قسم كبير من جنوب غربي انجلترا حتى عام ٩٠٠م عندما طردهم الفريد الكبير ملك وسكس . اما نورمنديو الدانمرك وهم الدانيون فقد أغاروا على بلاد افرنجة وانحدروا منها الى سواحل اشتورياس الشمالية بالقرب من خيخون ، وواصلوا شن غاراتهم جنوبا حتى جليقية ، ولكن ملك اشتورياس تصدى لهم ، فواصلوا مسيرتهم جنوبا الى أن أرسو على سواحل الاشبونة في عام ٢٢٩هـ (٨٤٤م) . (ولزيد من التفاصيل أرجع الى :

الأندلس وجنوبها الغربى زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط . ويرجع السبب فى هذا الصمت المطبق الى الحوادث الخطيرة التى مرت بها الأندلس زمن الولاة ، وأبرزها الصراع الداخلى بين العرب والبربر فى الأندلس وتحوله بعد نزول جند الشاميين بقيادة بلج بن بشر القشيري الى صراع بين الشاميين والبلديين ثم الى صراع بين العصبيتين العربيتين اليمينية والقيسية مما أدى الى نشوب حرب أهلية فى الداخل شغلت المؤرخين لهذا العصر عن الاهتمام بذكر قادس . ومن الحوادث الهامة فى عصر الولاة كذلك محاولة المسلمين فتح بلاد غالة فيما وراء البرانس ، وتتمثل فى موجات متتابة من الحملات استمرت حتى قيام دولة بنى أمية فى الأندلس .

وأول ذكر لقادس فى المصادر العربية اقترن بغارة النورمنديين الأولى على سواحل الغرب وسواحل الأندلس الجنوبية الغربية فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، فقد أبلغ وهب الله بن حزم عامل أشبونة من قبل الأمير سنة ٢٢٩هـ بقدم أربع وخمسين مركبا للمجوس ومعها أربع وخمسون قاربا (٣٤) ، فكتب اليه الأمير عبد الرحمن والى عمال السواحل بالتحفظ (٣٥) . ومن المعروف أن غارات النورمنديين على سواحل الأندلس مرت بثلاثة مراحل : أولها وقعت فى عام ٢٢٩هـ ، وفيها تعرضت جزيرة قادس لهجماتهم مرتين ، فبعد أن ظهرت سفن النورمان عند ساحل الأشبونة فى مستهل ذى الحجة سنة ٢٢٩هـ نزلوا بساحلها ، واقاموا بها ١٣ يوما ، ووقعت بينهم وبين المسلمين وقعة عنيفة ركبوا على أثرها سفنهم ، متجهين جنوبا حتى وصلوا عند مصب نهر الوادى

=

Lévi - Provençal, Histoire de l'Espagne musulmane, t. I, P. 219.

— السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ١٥٢ — ١٥٥) .
(٢٤) العذرى ، نصوص عن الأندلس ، تحقيق د. عبد العزيز الأهوانى
مدريد ١٩٦٥ ص ٩٨ — ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٨٧
(٢٥) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٨٧

الكبير ، وهناك تفرقت سفنهم (٣٦) ، فواصل بعضها السير جنوبا بحذاء الساحل الأندلسى حتى وصلت الى ساحل اقليم شذونة ، واستولى البعض الآخر على قادس (٣٧) ، فى حين أوغلت بعض سفنهم فى نهر الوادى الكبير نحو اشبيلية واحتلوا جزيرة قبطيل (٣٨) Captel ، وأقام بها النورمان ثلاثة أيام ، ثم دخلوا قرية قورة Coria del Rio التى تبعد عن اشبيلية بنحو اثنى عشر ميلا ، فقتلوا من المسلمين عددا كبيرا ، الى أن وصلوا الى قرية طلياطة Tablada الواقعة على بعد ميلين من اشبيلية ، فنزلوها ليلا (٣٩) ، فذعر اهل اشبيلية واخلوها الى قرمونة (٤٠) وجبال الشرف ، وعلى هذا النحو واصل النورمان تقدمهم حتى وصلوا الى مدينة اشبيلية ، واشتبكوا مع من بقى فيها من اهلها فى معركة ضارية انتهت بهزيمة المسلمين واستباح النورمان على أثرها المدينة ٧ أيام قتلوا خلالها كل ذى روح (٤١) .

ولم يقف الامير عبد الرحمن أمام هذه الاحداث موقف المتفرج ، فقد تحرك سريعا ، وبادر بارسال قوة عسكرية من قرطبة ، اشتبكت معهم فى معركة عنيفة ، وأرغمتهم على ركوب سفنهم والرحيل الى سواحل

(٢٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ١٥٥ .

(٢٧) العذرى ، المصدر السابق ، ص ٩٨ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٨٧ ، وانظر حمدي عبد المنعم حسين ، التاريخ السياسى

لمدينة اشبيلية فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٨٧ ، ص ٤٦ .
(٢٨) العذرى ، المصدر السابق ، ص ٩٨ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٨٧ .

(٢٩) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٦٣ ، وانظر ايضا السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ١٥٦ .

(٣٠) ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص ٦٣ .
(٣١) ذكر العذرى أنهم «لم يرفعوا السيف عن كل ذى روح ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان والدواب والأنعام والطيور وكل ما تناولته سيوفهم وسهامهم» (ص ٩٩) .

شذونة مرة ثانية ومنها الى قادس (٣٢) . وأحدث استنفار الأمير لقواته أثره في استنهاض الهمم وحشد القوى ، فبادرت الاجناد الى التجمع بقرطبة ، ومن هناك توجهت الى مواقعها جنوبى اشبيلية ، وتاهبت لملاقاة النورمان الذين حشدوا قواتهم في طلياطة ، وهناك حاصرتهم جيوش المسلمين بقيادة محمد بن سعيد بن رستم الذى نصب عليهم المجانيق (٣٣) ، وتم الاشتباك بين الفريقين ، وانتهى بتغلب المسلمين على النورمان (٣٤) ، وأحرق المسلمون عددا من سفنهم ، وقتلوا عددا كبيرا منهم ، وركب من نجا منهم مراكبهم وساروا الى لبلة ، ثم تراجعوا من هناك الى جزيرة شلطيش Saltés ، ومنها الى اكشونة حيث نزلوا على واديانه ، ثم رحلوا من هناك الى باجة فمدينة المعدن فالشبونة ، وركبوا منها سفنهم في البحر المحيط وعادوا الى بلادهم (٣٥)

وكانت لهذه الغارة النورمانية آثار هامة وخطيرة في تاريخ الأندلس ، فقد نبهت الأمير عبد الرحمن الاوسط ومن خلفه من أمراء بنى أمية الى ضرورة انشاء أسطول قوى يستطيع مواجهة أى غزو بحرى موجه الى سواحل الأندلس ، والاهتمام بتحسين السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية ، فأمر في جملة ما أصدره من أوامر بهذا الشأن بإنشاء مراقب ومسالج على طول الساحل الغربى المطل على المحيط الأطلسى وشحنها بالمقاتلة (٣٦) ، ولا نستبعد أن تكون قادس من بين تلك

-
- (٣٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٨٨
 (٣٣) العذرى ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٨٨ .
 (٣٤) العذرى ، نفس المصدر ، ص ١٠٠ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٨٨ - النويرى (شهاب الدين أحمد) ، نهاية الارب في فنون الادب ، المجلد ٢٢ ، ص ٢٤ ، ولزید من التفاصيل عن هذه الوقائع انظر : السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .
 (٣٥) العذرى ، ص ١٠٠ - ابن عذارى ، ج ٢ ص ٨٨
 (٣٦) Lévi - Provençal, Histoire de l'Espagne Musulmane, t. I, p. 225
 - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٦٠

السواحل المطلّة على البحر والتي شملها الأمير عبد الرحمن الأوسط باهتمامه عقب تلك التجربة المريرة التي اجتازتها بالعدوان النورمندی عليها .

وكانت الغارة النورمندية على سواحل الأندلس الجنوبية على هذا النحو فاتحة عهد جديد في تاريخ الأندلس ، لأنها دفعت الدولة الأموية في الأندلس الى توجيه مزيد من الاهتمام بالبحرية (٣٧) عن طريق انشاء دور لصناعة السفن وآلات القتال البحري وذلك بهدف توفير وحدات بحرية كافية للتصدى مستقبلا للغارات النورمندية اذا ما فكر النورمان من جديد في الاغارة على السواحل الأندلسية .

واذا كانت المصادر العربية قد اقتصرّت على ذكر دارين للصناعة انشأهما الأمير عبد الرحمن الأوسط في اعقاب الغزوة النورمندية الفاشلة احدهما باشبيلية ، ولعلها نفس دار الصناعة القوطية القديمة التي تعطلت فترة من الزمن في العصر الأموي ، ثم عاودت نشاطها بتوجيه من الأمير ، هي ودار صناعة الجزيرة ، والثانية دار صناعة قرمونة

(٣٧) من الأدلة التي نستند عليها في هذا القول ما ذكره ابن عذارى في حوادث سنة ٢٣٤هـ اذ يقول : «وفي سنة ٢٣٤ أمر الأمير بتوجيه العساكر الى أهل جزيرة ميورقة لنكايتهم واذلالهم ومجاهرتهم بنقضهم العهد ، واضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين ، فغزتهم ثلاثمائة مركب ، فصنع الله للمسلمين جميلا ، واطفرهم بهم ، وفتحوا أكثر جزائهم » (ابن عذارى ، ص ٨٩) وهذه الرواية لابن حيان ، فقد ورد نفس النص في كتاب المقتبس ، ونطالع فيه مايلي : «وفيها (أي سنة ٢٣٤) أغزى الأمير عبد الرحمن أسطولا من ثلاثمائة مركب الى أهل جزرتي ميورقه ومنورقة لنقضهم العهد واضرارهم بمن يمر اليهم من مراكب المسلمين ، ففتح الله للمسلمين عليهم ، واطفرهم بهم . . . » (ابن حيان ، المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، تحقيق د. محمود على مكي ، بيروت ١٩٧٣ ص ٢) .

لانتاج الاسلحة والمعدات اللازمة للسفن (٣٨) .

ولانستبعد أن يكون الأمير قد اتخذ من بين الاجراءات الدفاعية والوقائية التى اتخذها بعد الغارة النورمندية ، انشاء قواعد بحرية فى سواحل الأندلس الجنوبية الغربية المطلة على المحيط الاطلسى ، وكانت اشبيلية المحور الرئيسى لهذه الاجراءات ، فقد زودها بسور من الحجارة ودار صناعة بحرية ، واتخذ منها قاعدة للاسطول . ونرجح أن تكون قادس قد حظيت ببعض هذا الاهتمام باعتبارها أول المواقع الاندلسية التى تضررت من العدوان النورمندى سنة ٢٢٩هـ واتخذها النورمنديون قاعدة لهم ولسفنههم . ولانشك فى أن الامير عبد الرحمن الاوسط كان يدرك كل الادراك الاهمية الجغرافية والاستراتيجية التى كانت تمثلها جزيرة قادس كقاعدة بحرية للدفاع عن سواحل الاندلس الجنوبية وعلى الأخص عن اشبيلية ، ومن الطبيعى أن يوليها جانبا من اهتمامه وعنايته ، ربما لانها جزيرة لاترتبط بالبر الا عن طريق قنطرة أو جسر مياه هيا لها المجال لتكون قاعدة لايواء السفن على جانبى القناطر . ثم ان اهتمام عبد الرحمن الاوسط باشبيلية دعاه الى الاهتمام بنواحيها ، فاقام بقرمونة - كما سبق أن ذكرنا - دارا لصناعة السلاح ، كما كانت قادس قريبة بدورها من اشبيلية الى حد أنها اعتبرت فى بعض المصادر من بين مدن وادى حلق اشبيلية أو من كورتها . هذا الاهتمام باشبيلية يدعونا الى الافتراض بأن تكون قادس قد ظفرت بدورها بنصيب من اهتمام الأمير ، ولانستطيع أن نقطع بما يمكن أن تقدمه له هذه الجزيرة ، وأن

(٣٨) فيما يتعلق بدار صناعة الجزيرة الخضراء أرجع الى :
Torres Balbas, Atarazanas Hispanomusulmanas, en obra Dispersa,
Vol. 3, P. 132.

وفما يتعلق بدار صناعة قرمونة ، أرجع الى الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٦١. أما بالنسبة لدار صناعة اشبيلية فأرجع الى ابن القوطية القرطبى ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

كنا نميل الى الاعتقاد بأنها لم تكن تصلح الا أن تكون قاعدة بحرية للأسطول الأندلسي في البحر المحيط لقرب موقعها من اشبيلية والجزيرة الخضراء من جهة وولبه وشلطيش من جهة أخرى . ثم أن قادس ظهرت بالفعل كقاعدة بحرية هامة في أواخر عصر المرابطين عندما اقترن اسمها باسم بنى ميمون البحرين (٣٩) . واستمرت قادس تؤدي هذه المهمة طوال عصر الموحدين . ولايمكننا أن نتصور أن ظهور قادس كقاعدة أندلسية هامة في عصر دولتي المرابطين والموحدين (٤٠) قد حدث من فراغ ، فلا بد إذن من وجود أصول قديمة لهذه الشهرة البحرية التي حظيت بها قادس زمن المرابطين والموحدين ، ونعتقد أن تكون أصول هذه الشهرة ممتدة الى عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي يؤكد المؤرخون اهتمامه الكبير بالبحرية . ونستدل من دار الصناعة التي ذكر بدرو دى مدينة Pedro de Medina في منتصف القرن السادس عشر الميلادي أن الملك الفونسو العاشر أنشأها في الموضع المسمى بويرتو دى سانتا ماريه Puerto de Santa Maria ويقع في حلق خليج قادس قبالة مدينة قادس نفسها (٤١) أنها مثل نظيرتها التي أنشأها نفس الملك في اشبيلية على أسس اسلامية ، أنه ربما اقيمت هي الأخرى على أسس دار صناعة اسلامية الانشاء . ولكننا لانستطيع أن نقطع بذلك طالما لم تسعفنا المصادر العربية والاسبانية بما يؤكد ذلك .

(٣٩) ابن الأبار ، الحلة السبراء ، ص ١٩٣ وما يليها - عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، نشره الأستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٢١٠ - البيهقي ، أخبار المهدي ، ص ١٠٧ - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ - الحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ - ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قادس - المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٤٠) ابن عذاري ، البيان المغرب ، الجزء الخاص بالموحدين ، ص ١٤٤
 L. Torres Balbas, Atarazanas Hispano musulmanas, P. 164. (٤١)

ب - الغارة النورمندية الثانية سنة ١٠٤٥ هـ :

لم يرد ذكر قادم في المصادر العربية بين أسماء المدن التي أغار عليها النورمنديون في غارتهم الثانية على سواحل الأندلس سنة ١٠٤٥ هـ في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن . ومع ذلك فإننا نستنتج من خلال تتبعنا لمسار هذه الغارة أن تكون قادم قد تعرضت هذه المرة أيضا للعدوان النورمندی .

بدأ النورمنديون غارتهم الثانية بالهجوم على الساحل الجليقي ، ولما واجهوا من الجلالة مقاومة عنيفة ، اضطروا إلى متابعة السير جنوبا بمحاذاة الساحل الغربي لشبه جزيرة إيبيريا ^(٤٣) ، إلى أن وصلوا إلى مصب نهر الوادي الكبير . وكان الأمير محمد قد استعد للتصدي لهم والاشتباك معهم ، فأعد قواته عند مدخل نهر أشبيلية ، وهناك دارت معركة حامية بينهم وبين المسلمين انتهت بهزيمة النورمنديين ، واضطروا إلى متابعة سيرهم إلى الجزيرة الخضراء ^(٤٣) ، فتغلبوا عليها ، وأحرقوا مسجدها الجامع . ويغلب على الظن أنهم مروا بسفنهم على قادم أثناء توجههم إلى الجزيرة الخضراء ، إذ كانت أولى مدن الأندلس التي تعرضت في الغارة الأولى سنة ١٠٢٩ هـ لعدوانهم . ويبدو أن

(٤٢) العذري ، المصدر السابق ، ص ١١٨ - ابن عذاري ، البيان المغرب ج ٢ ، ص ٩٦ وأنظر أيضا :

Lévi - Provençal, op. cit. t. I, p. 310.

- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٤٣) الحميري ، الروض المعطار ص ٢٢٣ . يقول الحميري : « وعلى البحريين القبلة والشرق من مدينة الجزيرة مسجد سري يعرف بمسجد الرايات ركزت فيه المجوس راياتها ، فنسب إليها ، وله باب من خشب سفن المجوس » . وذكر ابن حيان أنهم احتلوا بالجزيرة الخضراء وتغلبوا عليها واستباحوها ، وأحرقوا المسجد الجامع « (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود علي مكي ، ص ٣٠٨) كذلك يذكر العذري أنهم تغلبوا على الحاضرة (الجزيرة الخضراء) (العذري ، ص ١١٩) .

النورمنديين عمدوا بعد أن أدركوا استعداد أهل الأندلس للتصدي لهم إلى التظاهر بالعدول عن توجيه غارتهم إلى سواحل الأندلس ، فتركوا الجزيرة الخضراء وجازوا إلى العدو ، فاستباحوا مدنها ، وأغاروا على مدينة نكور (٤٤) ، ثم فاجأوا المسلمين في الأندلس بالآغارة على سواحل الأندلس الشرقية في هذه المرة ، وبدأوا بساحل كورة تدمير ، وتوغلوا في إقليمها (٤٥) . ثم رحلوا بعد ذلك إلى ساحل فرنسا الجنوبي وأشتوا في جزيرة كاماريا الواقعة جنوبي نهر الرون « (٤٦) » وعاد النورمنديون بعد انقضاء فصل الشتاء إلى الآغارة على سواحل الأندلس ، وكانت سفن المسلمين بقيادة سبش بن كشوح (٤٧) وخشخاش البحري قد استدارت من قواعدها في جنوب غرب الأندلس ولاقتهم بريف شذونة ، فأصاب المسلمون من مراكبهم مركبين ، واستشهد خشخاش في هذه المعركة البحرية (٤٨) .

ونستنتج مما سبق أن الموقعة البحرية المذكورة دارت على مقربة من مياه جزيرة قادس . وعلى الرغم من إبحار سفن النورمان شمالا تجاه مملكة نبارة ، إلا أن النورمان عاودوا الظهور بسفنهم من جديد سنة ٢٤٧هـ على مقربة من ساحل الجزيرة الخضراء (٤٩) . ومن المحتمل

(٤٤) البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، نشر دى سنان ، الجزائر ١٩١١ ، ص ٩٢ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٩٦ .

(٤٥) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٤٦) حسين مؤنس ، غارات النورمانيين ، ص ٧١ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية ، ص ١٦٥ .

(٤٧) ذكر ابن حيان أن اسمه قرقاشيش بن شكوح في حين ذكره العذري في صورة . سبش بن كشوح (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د . محمود مكي ، ص ٣٠٩ - العذري ، ص ١١٩) .

(٤٨) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣٠٩ - العذري ، ص ١١٩ - ابن عذاري ، ج ٢ ص ٩٧ .

(٤٩) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣١١ - العذري ، ص ١١٩ .

أن سفنهم مرت بجزيرة قادس أثناء سيرها الى الجزيرة الخضراء ، ومن المحتمل أيضا أنها أرسيت بعض الوقت في المرسى الذى يسميه الزهرى بمرسى المجوس (°) . ونستدل من رواية الزهرى ان النورمنديين واصلوا غاراتهم على سواحل الأندلس الجنوبية حتى سنة ٥٤٥ هـ التى هدم فيها منار قادس وصنمها . ومنذ ذلك الحين توقفت غاراتهم تماما على الأندلس ، ولم تتعطل في البحر حركة ولا سفر الا هذه الحركة التى للمجوس بسبب تلك المنارة « (١) » .

ج - هواية الصيد بقادس زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن :

أورد ابن حيان خبرا عن قادس زمن الأمير محمد ، نستنتج منه أن الأمير محمد كثيرا ما كان يذهب الى جزيرة قادس لممارسة هوايته في الصيد مما يدعونا الى الاعتقاد بأن قادس اشتهرت كمناطق من المناطق المخصصة للصيد ، ربما لتوافر غاباتها وغيضاتها مما يفسح المجال لتوافر بعض الحيوانات البرية كالغزلان والأيائل والارانب الجبلية وغيرها . يقول ابن حيان : « لما دخل الأمير محمد جزيرة قادس في بعض متصيداته الى الغرب - وكان بعيد المذهب فيها على رسم والده عبد الرحمن - ضرب أخبثته حول الصنم المنسوب اليها - وهو من عمل الأوائل ، وله شأن في الحكمة ، أتى هذا الصنم قنطر اليه مليا ، فطاف بجهاته ، فأراد أن يختبر قوة بنائه ويتقضى شأنه ، فلم يجد سبيلا الى ذلك الا من قبل النار القوية ، فأمر أهل الجهة بجلب الحطب اليه والاحداق به والاستكثار من ذلك ، والاعتيام لجزله ، فجمع حوالى الصنم من اجناس الحطب أمر عظيم حتى كاد يساوى الشخص الانسانى الممثل بذروته مشيرا بتمثال مفتاح في يده او يقاربه ، ثم امر بايقاد النار فيه ،

(٥٠) الزهرى ، ص ٩٢ .

(٥١) الزهرى ، ص ٩٢ .

فلما تاججت واحتدمت ، هبت عليها ريح عاصف من تلقاء الصنم فرقت النار واخمدت لهبها ، وصارت شعلها الى اخبية الامير محمد فعلفت بها ، واشتعل كثير منها ، فارتاع محمد لهول ما عاين من ذلك هو ومن معه ، ونادى فيهم بالرحيل عن مكانه ذاك ، وابتدر الركوب ذاهبا عنه ، ولم يكد ينجو الا بعد ان فقد كثيرا من آلتة وعدته بالنار ، واشتد عليه ... » (٥٣) .

وربما ساعد ذلك الحادث على ترويج ما اشيع من تنبؤات حول مصير قادس وبعض مدن الأندلس الأخرى اذا ماتعرض الصنم للهدم .

د - قادس في عصر دويلات الطوائف الأولى (٢٧٢ - ٣٠٠هـ)

ب وفاة الأمير محمد بدأت الأندلس عهدا جديدا شهدت فيه ألوانا من الفوضى والاضطراب والتمزق السياسى ، فقد زالت هبة الامارة ، التى أصبحت عاجزة عن الصمود امام تيار الفتنة الجارف الذى بدأ يجتاح الأندلس ، وتجرات الطوائف المختلفة على شق عصا الطاعة على السلطة المركزية بقرطبة والانتزاع بنواحيها ، واصبحت الأندلس لاختلال ميزان الأمن جمرة تحترق ونارا تضطرم .

كانت المعالم الأولى للفتنة قد أخذت فى الظهور أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٥٣) الذى قضى معظم سنى حكمه فى كفاح متواصل

(٥٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود مكى ، ص ٢٧٨
 (٥٣) اشتعلت نيران الثورة فى مناطق مختلفة من الأندلس فى عهد الأمير محمد ، ومن هذه الثورات ثورة أهل طليطلة فى ربيع الثانى سنة ٢٣٨هـ وهو العام الذى تولى فيه الأمير محمد إمارة الأندلس ، ولم يتردد ثوار طليطلة المولدون فى الاستعانة بأردون بن ردميره Ordoño I ملك اشتورياس الذى قدم لهم كل عون ، فأرسل اليهم جيشا بقيادة أخيه غثون Gaton قومس بيرزو Bierzo ولكن الأمير محمد خرج بنفسه سنة ٢٤٠هـ (٨٥٤م) الى وادى =

بهدف جمع الكلمة ، ولم الشعث ، والضرب على أيدي الثوار . وإذا

= سلبط أحد روافد وادي تاجه بالقرب من طليطلة ، ونصب عدة كمائن في التلال المطلة على الوادي ، وتمكن بفضل تلك الكمائن من التغلب على غثون . وفي سنة ٢٤٢هـ (٨٥٦م) أرسل الأمير محمد ولده المنذر بالصائفة الى طليطلة ، فحاصرها وخرب كل ما يليها من مناطق . وفي سنة ٢٤٣هـ تجددت ثورة أهل طليطلة وأغاروا على طليطلة القريبة من طليطلة ، فتصدى لهم عامل المدينة من قبل الأمير محمد وأوقع بهم . وفي عام ٢٤٥هـ (٨٦٨م) أذعن طليطلة بالطاعة للأمير مدة عشر سنوات ، ولكنهم نكثوا بعهدهم ، وتجددت ثورتهم في سنة ٢٥٤هـ (٨٦٨م) ولم يتردد الأمير في الخروج اليهم بحشود ضخمة في هذه السنة ، وتمكن من إخضاعهم في سنة ٢٥٩هـ . وولى عليهم طربيشه بن مسونه المولد (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود على مكي ، ص ٢٩٥ - ٣٠٤ ، ٣٠٥ - ٣٠٧ ، ٣٢١ - ٣٢٣ ، ٣٢٩ - ٣٣٠ ، وابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٩٤ - ٩٦ ، ١٠١ . وانظر أيضا حمدي عبد المنعم محمد حسين ، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الامارة الأموية ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ص ٥٩ - ٧٥) .

ومن هذه الثورات أيضا ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي في ماردة ، ورحيله الى بطليوس ، ورفع راية العصيان بها واستقلاله عن الامارة الأموية بقرطبة اثر اختلافه مع الوزير هاشم بن عبد العزيز في قرطبة . واستعان ابن الجليقي في ثورته بسعدون السرنباقي الثائر في منت شلوط Monsalud ، ورأس الفونسو الثالث بن أردون الأول ملك أشتورياس وقد حاول الأمير محمد اخماد ثورة عبد الرحمن الجليقي ، فكان يبعث الحملات العسكرية لإخضاعه عاما بعد عام (٢٦٣ - ٢٧١هـ) دون جدوى ، واضطر أخيرا الى الموافقة على أن يستقل ببطليوس وماردة ونواحيهما (ارجع الى ابن القوطية ، ص ٨٩ ، ٩٠ - ابن حيان ، المقتبس القسم الخاص بالامير عبد الله ، تحقيق ملشور انطونية ، ص ١٥ - والقسم الخاص بالامير محمد ، تحقيق الدكتور محمود مكي ، ص ٣٤٣ - الحميري الروض المعطار ، ص ٩٣ (وان كان يخطيء في ارجاع انشاء بطليوس الى الأمير عبد الله) . وارجع أيضا الى

Codera, los Beni Meruan en Merida y Badajoz, Madrid, 1917, P. 30

= سحر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسي لبطليوس الإسلامية رسالة ماجستير ، ص ٢٠٨ - ٢٤٣ .

كان الأمير محمد قد نجح الى حد كبير في الحفاظ على شعار وحدة الامارة وحرمتها وهيبتها ، فان الزمام في عهد خلفه الأمير المنذر أفلت تماما من يديه ، بحيث استعصى عليه أن يعيد الأندلس الى سابق وحدتها ويرد اليها كيائها ، ومع ذلك فقد حاول صادقا أن يشدد قبضته على زمام السلطة ، فاقدم على حبس هاشم بن عبد العزيز ، اكبر وزراء أبيه الأمير محمد وأقربهم اليه ، وقتله ، اذ كان هاشم هذا مغرورا بنفسه حقودا ، أفسد الامور في الدولة وكان سببا من أسباب اذكاء نيران الفتنة خاصة في غرب الأندلس (٥٤) .

ثم توفي الأمير المنذر في سنة ٢٧٥هـ وخلفه أخوه عبد الله ، وكانت نار الفتنة قد احتدمت في شتى انحاء الأندلس ، فابن حفصون استقل ببشتر وكورة رية ، وديسم بن اسحق في لورقة ومرسية وما يليهما من كورة تدمير بشرق الأندلس ، وابراهيم بن حجاج باشبيلية وقرمونة ، وابن الجليقي ببطليوس والغرب ، وعبد الملك بن أبي الجواد بباجة ،

= كذلك ثار سليمان بن عبدوس في سريه Soria سنة ٢٥٥هـ ، وعمروس الوشقي سنة ٢٥٦هـ في وشقة ، ومطرف واسماعيل بن لب ، ويونس بن زنباط في الشجر (تطيلة وسرقسطة) سنة ٢٥٨هـ ، وحارث بن حمدون من بني رفاع في مدينة الحامة من كورة رية سنة ٢٧٣هـ ، وعمر بن حفصون في ببشتر سنة ٢٦٧ ، ولب بن مندريل في جبل الجزيرة (انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ٨ - ٣٣ - ابن القوطية ، ص ٩١ - ٩٢ - ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٠٠ - ١٠٦ . ولزيد من التفاصيل انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٢٤٤ - ٢٥٠) .

(٥٤) يعتبر عبد الرحمن بن مروان الجليقي زعيم الثوار في غرب الأندلس ، وكان قد فر من قرطبة في سنة ٢٦١هـ (٨٧٠م) اثر مشادة وقعت بينه وبين هاشم بن عبد العزيز الوزير الاثر عند الأمير ، فقد أمر هاشم بصفح قفاه واستذله بأن نعته بأن الكلب خير منه ، وكان ذلك السبب الذي دفعه الى الفرار الى غرب الاندلس وقيامه بالثورة الكبرى في هذا الاقليم (ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٠٢ - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢١) .

ويحيى التجيبي بسرقسطة ، وخير بن شاكر بشوذر ، وبنى هابل بن هذيل بجيان ، ومحمد بن لب القسوى فى الثغر الأعلى ، وبكر بن يحيى بن بكر بشنت مرية ، وعمر بن مضم الهترولى الملاحى بقرى كورة جيان ، وخليلى وسعيد ولدا المهلب بكورة البيرة ، وغيرهم (٥٥) .

ونستدل من رواية ابن حيان على أن قادس حذت حذو غيرها من مدن الأندلس فى الخلاف ، وأقدم أهلها على رفع لواء الثورة وشق عصا الطاعة على حكومة قرطبة ، يقول ابن حيان فى سياق حديثه عن جهود جيش الامارة فى القضاء على الثوار المنتزين بكورة شذونة : « وانتقل العسكر الى حصن امريقه على وادى لكه من شذونة متتبعا مواطن أهل الخلاف ، منتسفا نعمهم ، ثم احتل بحاضرة قلसानه ، ثم أتى مدينة شريش منها ، فأقام فيها أياما ، ووفد عليه أهل شذونة والجزيرة مذعنين بالطاعة ، وجاءه اليها ابن عمرو فى عسكر لبلة ، ثم رحل الى مدينة ابن السليم ، فتوثق من أهلها وأخذ رهنهم فأمنهم ، ثم قصد الى حصن ببشتر ٥٠٠ ثم دخل الى جزيرة قادس ، ثم دعا الى حاضرة قلसानه ، فأقام بها عدة أيام ، وحصن قصبته وثقفها وشحنها بالاقوات » (٥٦) .

ولكن هذا النص لا يشير الى اسم قائد الثورة بجزيرة قادس ، ولكن من الممكن الاستدلال الى اسمه من خلال دراستنا لأسماء الثوار الذين تزعموا الثورات فى كورة شذونة أو الكور المصابقة لها .

وأبرز الثوار الذين انتزوا فى كورة شذونة والمناطق القريبة من جزيرة قادس هم :

-
- (٥٥) لمزيد من التفاصيل عن هؤلاء الثوار أرجع الى ابن حيان القسم الخاص بالامير عبد الله ، تحقيق ملشور ، والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٤٣ - ٢٧٥ .
- (٥٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ١١٢ .

- ٧٠ -

- ١ - طالب بن مودود المورورى ، الثائر فى مورور
- ٢ - منذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم ، الثائر فى مدينة ابن السليم المنسوبة الى بنى السليم بكورة شذونة .
- ٣ - محمد بن عبد الكريم بن الياس ، الثائر بقلعة ورد من شذونة
- ٤ - سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذونى ، الثائر بشريش من كورة شذونة أيضا .

أما الثائر الاول وهو طالب بن مودود وهو من العرب المضرية (٥٧) فقد انتزى بمورور ونواحيها ، وابتنى حصن منت فيق على نهر وادى ايره (٥٨) . وكان لطالب بن مودود دور فى اذكاء الفتنة التى اشتعلت نيرانها فى اشبيلية زمن الأمير عبد الله .

وأثناء اندلاع نار الفتنة انقسم أهالى اشبيلية الى فرق ثلاثة : الفرقة الاولى منها كانت تتألف من الموالى والمولدين من أهلها ، وقد تحالفوا مع العرب المضرية والبربر البتر من أهل كورة مورور . والفرقة الثانية تزعمها كريب بن عثمان بن خلدون من العرب اليمنية ، وقد تحالفت هذه الفرقة مع سليمان بن محمد بن عبد الملك الثائر بشذونة ، وعثمان بن عمرو بن الثائر بكورة لبلة ، وكلاهما ينتسب الى العرب اليمنية . أما الفرقة الثالثة ، فكانت حيادية تضم عرب قريش ومنهم عبد الله

(٥٧) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١٢٨ . وفى ذلك يقول ابن حيان: « وقتل (القائد أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى عبدة) فى غزوته هذه من المضرية على المعصية طالب بن مودود المنتزى بمورور » .

(٥٨) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١١١

بن الأشعث ، وتضم أيضا موالى الامويين أمثال عثمان بن العمر بن
أبى عبده ، ووهب بن بسيل (٥٩) .

وقد برز دور طالب بن مودود المورورى فى أحداث اشبيلية عندما
تعقدت الامور بها عقب مصرع محمد بن غالب المولد صاحب حصن شيت
طرش Siete Torres (٦٠) . فقد أثار مصرع محمد بن غالب
طائفة المولدين ، فأقبلوا على الأمير محمد بن الأمير عبد الله بن عبد
الرحمن يطلبون منه أن يسلمهم مفاتيح أبواب المدينة حتى يشعروا
بالأمان ، فاجابهم لطلبهم ، ثم وثبوا بعاملهم أمية بن عبد الغافر ،
واستجدوا بطالب بن مودود ، فسير اليهم جيشا يتألف من فرسان من
العرب المضرية وحلفائهم البربر البتر ، وفى ذلك يقول ابن حيان :
«فاستجاشوا المعروف بابن مولود (يقصد ابن مودود) الثائر بكورة مورور،
بذمة الحلف على أن لم يكن على دعوة المولدين ، فعاقده على حرب
السلطان، فأرسل اليهم جيشا من فرسان العرب من دعوة مصر ومن حلفائهم
من بتر البربر للحلف الذى كان بينهم قديما، فلما صاروا عندهم قويت بهم
نفوسهم ، فثاروا ثورة عظيمة وقصدوا دار أمية بالمدينة ، فجأؤوه
يريدون الفتك به ، ووقع عليه الخبر قبل تلاحقهم » (٦١) .

ويذكر ابن حيان أن الأمير المطرف بن الأمير عبد الله خرج فى
سنة ٢٨٢هـ فى صائفة وبصحبه القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية ،

(٥٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ١٣٤ ، ١٣٥ - وأنظر
السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،
ص ٢٦٩ .

(٦٠) لمزيد من التفاصيل عن أحداث اشبيلية فى هذه الفترة أراجع الى:
ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ٦٧ - ٨٥ ، السيد
عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص
٢٦٩ - ٢٧٥ ، حمدى عبد المنعم حسين ، التاريخ السياسى لمدينة
اشبيلية فى العصر الأموى ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٧٨ .

(٦١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ٧٤ - السيد عبد
العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٧٢ .

فتوجها الى اشبيلية وشذونة (٦٣) ، وفي الطريق أقدم الأمير المطرف على قتل القائد ابن أمية ، وولى على قيادة الجيش مكانه أحمد بن هاشم بن عبد العزيز . ثم انه خاطب زعماء الثورة في هذه المنطقة يدعوهم الى الالتزام بالطاعة ، فأستجاب له اهل المنطقة ، وأقبلت عليه وفود من اشبيلية وشذونة ولبلبة يؤكدون ولاءهم للأمير ، فلم يسعه الا الرحيل ، واتخذ وجهته الى ابن برسيس الثائر ، ثم تحرك العسكر بعد ذلك الى حصن منت فيق مقر طالب بن مودود ، فنازل الجيش اهل الحصن والثوار ، وأفسدوا زروع المنطقة ، وأحرقوا القرى ، مما اثار غضب اهل الحصن ، فاشتبكوا مع عسكر الأمير في قتال عنيف ، وفي أثناء المعركة ولى ابن سالم الاستجى وأتباعه من عسكر الامارة الأدبار ، وانسحبوا من صفوف جيش الامارة وانضموا الى قوات طالب بن مودود ، الأمر الذى دفع أحمد بن هاشم قائد العسكر الى حث بقية عسكره على الاستماتة فى القتال ، ودارت معركة ضارية ظهر هذا اليوم انتهت بهزيمة قوات طالب بن مودود ، فاضطر الى التحصن فى حصن اقوط (٦٣) . وواصل عسكر قرطبة تخريب المنطقة ، وعاثوا فسادا فيها ، وأرغموا طالب بن مودود على بذل الطاعة فأخذوا رهائن من أتباعه ، وأشهد على أمانه ، وعندئذ رحل عسكر قرطبة الى منطقة أخرى .

غير أن جنوح ابن مولود للطاعة لم يستمر طويلا ، فلم يلبث أن نكث بعهدة مع الأمير عبد الله ، مما اضطر الأمير الى توجيه حملة ضده بقيادة القائد أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى عبدة ، وفى ذلك يقول ابن حيان : «وأغبر مع ذلك على زرع برديس ولقندر وقصر ابن غراب بمورور وما والاها من حصون الناكثين ، ومشى العسكر حتى احتل بقلسانه » (٦٤) . وفى هذه الأثناء تحالف طالب بن مودود مع الثائر

(٦٢) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١١٠

(٦٣) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

(٦٤) نفسه ، ص ١١٩ .

عمر بن حفصون الأمر الذى دفع القائد ابن أبى عبدة الى الخروج اليه بكورة مورور فى صائفة عام ٢٨٧هـ ، وحاصرها حصارا محكما وانتهى الأمر بقتل ابن مودود (٦٥) . وأما الثائر الثانى فهو منذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم بن أبى عكرمة (٦٦) جعفر بن يزيد بن عبد الله مولى سليمان بن عبد الملك ، وينتسب الى أسرة بلغت شأوا عظيما فى النباهة والفضل . أما محمد ابن السليم جد هذا الثائر فقد كان من كبار قواد عبد الرحمن الأوسط ووزيرا من وزرائه ، واشتهر بثرائه العريض اذ كانت له مع منصب الوزارة خطط يترتقز عليها فى كل شهر ٣٠٠ دينار (٦٧) . كذلك أسند اليه الأمير عبد الرحمن ولاية طليطلة فى شوال سنة ٢٣٢هـ بدلا من حارث بن بزيغ (٦٨) ، فأقام على ولايتها عاما واحدا ثم عزله عنها فى شعبان سنة ٢٣٣هـ ، وولى عليها أخاه أيوب ابن السليم (٦٩) الذى عزل عنها بدوره فى العام الذى يليه .

والى محمد بن السليم تنسب مدينة ابن السليم التى يذكرها كل من الادريسي (٧٠) والحميرى (٧١) ، على أنها نفس مدينة شذونة التى ثار فيها حفيده منذر بن ابراهيم . ويذكر ابن حيان ان منذر هذا ثار بمدينة ابن السليم المنسوبة اليهم من كورة شذونة فى أيام الأمير عبد

(٦٥) نفسه ، ص ١٢٨ - ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٣٩
 (٦٦) يذكر ابن القوطية أن أبا عكرمة جعفر بن يزيد ، جد بنى السليم الشذونيين كان هو الذى عقد بقناته لواء عبد الرحمن الداخل قبل موقعة المصارة ، « فلم توجد فى جميعه الا قناة أبى الصباح المتقدم ذكره وقناة لأبى عكرمة جعفر بن يزيد ، جد بنى السليم الشذونيين ، فعقد له فى أحدهما » . (ابن القوطية ، تاريخ أفتتاح الأندلس ، ص ٢٦) .

(٦٧) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق د. محمود مكى ، ص ٢٨

(٦٨) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ١ .

(٦٩) ابن حيان ، نفسه ، ص ٢

(٧٠) الادريسي ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

(٧١) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .

الله ، وتقع مدينة ابن السليم على مقربة من قادس ، وظل منذر مستقلا بهذه المدينة الى ان قتله مملوك له اسمه غلنده Galindo ، وخلفه أحد اقربائه ويدعى وليد بن وليد الذى اذعن بالطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر (٧٣) .

والثائر الثالث هو محمد بن عبد الكريم بن الياس الذى امتنع بقلعة ورد من كورة شذونة بلده ، وقد منحه الأمير عبد الله اسجالا على قلعة ورد ، فقبل الاسجال له على بلده ، وظل الأمر كذلك الى أن ولى عبد الرحمن بن محمد الامارة ، فاقره بحصنه ، ثم استنزله واستقدمه الى

(٧٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق ملشور ، ص ٢٣ ، ٢٤ - ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٣٥ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٥٩ . وقد برز من رؤساء هذه الأسرة بالإضافة الى من سبق أن اشرنا اليهم سعيد بن محمد بن السليم الذى كان من بين حجاب الأمير عبد الله ، وكان قد تولى خطة السوق ، فاثبت كفاية فى ادارتها «وضبط أمر العامة ، وظهرت منه صرامة اكسبته مهابة » (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق أنطونية ملشور ، ص ٥ ، ٥٣) . وارتفعت منزلته لدى الأمير عبد الله فولاه الوزارة ثم ولاه الحجابة بالإضافة الى الوزارة فى سنة ٢٧٥هـ . وتوفى سعيد فى ٤ ربيع آخر سنة ٣٠٢هـ (٩١٤هـ) (ابن عذارى ، ج ٥ ص ١٦٧) . ومنهم سعيد بن المنذر بن السليم الذى كان من بين قادة الخليفة عبد الرحمن الناصر (ابن القوطية ، ص ١١٥ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥٩ مادة اشبيلية) . وقد استعمله الناصر على اشبيلية بعد افتتاحه لها سنة ٣٠١هـ ، فهدم سعيد بن المنذر سور اشبيلية حتى يتعذر على الثوار مستقبل الامتناع بداخلها ، واقام القصر القديم المعروف بدار الامارة ، وحصنه بسور من الحجر (الحميرى ، الروض المعطار ، مادة اشبيلية ، ص ٥٨) . ومنهم أيضا محمد بن اسحق بن السليم (ت ٣٦٧هـ) وكان قد قلده الحكم المستنصر قضاء قرطبة فى سنة ٣٥٣هـ (النهايى الملقى ، تاريخ قضاة الاندلس ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٧٥ وما يليها ، وانظر ابن العطار القرطبي ، الوثائق والسجلات ، نشر وتحقيق د. بدرو شالميتا ود. كورينطى ، مدريد ١٩٨٣ ص ٥٩٤) .

جواره بقرطبة (٧٣) ، فكرم الأمير منزلته بها (٧٤) .

أما آخر الثوار بكورة شذونة فهو سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذونى الثائر بشريش وأركش من كورة شذونة ، وهو من أوائل الثوار بهذه الكورة فى بداية عهد الأمير عبد الله عندما «انتقضت كورة شذونة على السلطان وصار أهلها الى الخلعان ، فاتصلت فتنتها بكورة الجزيرة ورية ولبله ، واضطربت البلاد نارا ، وازداد السلطان عجزا » (٧٥) . وكانت بداية ظهوره واشتهار أمره فى عام ٢٧٦ هـ عندما تحالف مع كريب بن عثمان بن خلدون الثائر باشبيلية ، وعثمان بن عمرو الثائر بكورة لبلة ، وجنيد بن وهب القرمونى من بربر البرانس (٧٦) .

وسليمان بن محمد بن عبد الملك هذا عربى ، ويمنى الأكل ، ينتسب الى لخم ، وقد تعصب وحلفاؤه للعرب ضد المولدين والموالى (٧٧) وكان قد ابتنى لنفسه حصنا بكورة شذونة عرف باسم حصن نبريشة (٧٨) Lebrija . وحدث أن أرسل كريب بن عثمان الملقب بمهدى (٧٩) الى سليمان الشذونى فى حصنه بنبريشه يسأله العون ، فاستجاب سليمان الشذونى لنداء كريب ، وحشد له جماعة من الثوار الخارجين على الطاعة ، وتمكن بفضلهم من الاغارة على جزيرة المنذر بن عبد الرحمن

-
- (٧٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٣٦
 (٧٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق انطونيه ملشور ، ص ٢٤
 (٧٥) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .
 (٧٦) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .
 (٧٧) نفس المصدر ، ص ٦٨ .
 (٧٨) يقع هذا الحصن بالقرب من بلدة أو موضع يعرف باسم الخور (ابن حيان ، المقتبس ، ص ٧٢) ولم نتوصل الى معرفة موقعه على وجه التحديد .
 (٧٩) ابن حيان ، المقتبس ، نشر ملشور ، ص ٧٢ . وكان مقره قرية بشرف اشبيلية يقال لها البلاط كان ينزلها قوم من الحضارمة

عم الأمير عبد الله ، وكان يعرف بالأسلية ، وقتلوا القائم بأمرها ،
وعنمو ما كان بها من الرمك والبقر (٨٠) .

ولايهمنا من تفاصيل هذه الوقائع سوى ابراز دور سليمان الشذوني
في اذكاء نار الفتنة في اشبيلية ، وانتزائه بكورة شذونة ، ومظاهرتة
لكريب بن خلدون في شق عصا الطاعة على الأمير عبد الله . وشارك
سليمان بن محمد الشذوني في ثورته أخوه مسلمة (٨١) ، ولكن الأمير
عبد الله تمكن من القبض على ابراهيم بن حجاج وخالد بن عثمان
ومسلمة بن عبد الملك ، وأوثقهم في الحديد وزج بهم في سجن قرطبة (٨٢)
وانتهز المطرف بن الأمير عبد الله فرصة اعتقاله لهؤلاء وتقدم الى كورة
شذونة ، فافتتح حصن نبريشة في ذلك العام واخرج سليمان بن عبد الملك
الشذوني عنه (٨٣) . ولكن أهل الحصن لم يلبثوا أن عادوا الى النكت
والعصيان بعد رحيله عنه . ويذكر ابن حيان أن بعض وزراء الأمير عبد
الله أشار عليه باطلاق المحبوسين عنده ، وقال له : «ان حبسهم عن
حصونهم مما لا يؤمن معه تغلب ابن حفصون عليها ، وهم على كل حال
أضعف شوكة منه ، وان توثق منهم بالأمان ومن عليهم بالاطلاق شكروا
حادث النعمة ، وسدوا بلادهم عن ابن حفصون . فعمل الأمير برأيه
وأطلق عامتهم » (٨٤) .

(٨٠) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٨١) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٧٩ .

(٨٢) نفسه ، ص ٧٩ ، ٨٠ - ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ
والخبر ، طبع بيروت ، ١٩٦٨ ج ٤ ص ٢٩٦ .

Lévi Provençal, Histoire, t. I, p. 366.

وانظر ايضاً : حمدي عبد المنعم ، التاريخ السياسي لاشبيلية ، ص
٨٠ ، ٨١ .

(٨٣) ابن حيان ، المقتبس ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٨٤) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٨٠ - وانظر حمدي عبد المنعم ،
التاريخ السياسي لمدينة اشبيلية ، ص ٨٩ .

وهكذا نرى أن الأمير عبد الله يطلق أسراه ومن بينهم مسلمة الشذونى ، إذ كان يحدوه الأمل في أن يكونوا سدا أمام ابن حفصون ، ولكن هؤلاء الثوار ما أن عادوا إلى مدنها حتى انقلبوا على الأمير عبد الله ، وعادوا العصيان . فلجأ الأمير عبد الله إلى الحيلة ، ونجح في الإيقاع بينهم ، فوثب إبراهيم بن حجاج بكريب بن عثمان بن خلدون وأخيه خالد وقتلها ، واستقل بملك اشبيلية (٨٥) .

وفي عام ٢٨٢ هـ خرج المطرف ولد الأمير عبد الله غازيا إلى اشبيلية وشذونة ، فتوافد عليه ممثلون من أهل شذونة واشبيلية ولبلبة يقدمون إليه فروض الطاعة والولاء . ثم رحل الأمير المطرف على رأس جيشه ، واستنزل حصن قرمونة ولبلبة . ثم اتجه إلى حصن منت فيق فأذعن له طالب بن مودود بالطاعة ، ثم تابع سيرة إلى حصن امريقه الذى يقع على وادى لكة من شذونة ، متتبعا للثوار والمنتزين ، ثم دخل قللسانة ، فشرى وأقام بها أياما قدمت إليه خلالها وفود من أهل شذونة والجزيرة يعلنون طاعتهم (٨٦) . ثم حط المطرف على مدينة ابن السليم بشذونة ، فدخلها ، ثم استولى على جزيرة قادس ورحل من هناك إلى حاضرة قللسانة ، ومنها اتجه إلى نبريشه حصن سليمان بن محمد بن عبد الملك . وكان الحصن من المناعة والقوة بحيث اضطر القائد أحمد بن هاشم إلى رميه بالمنجنيق ، واشتبك مع الثوار على ريش الحصن ، فانهمزوا وتحصنوا بداخل أسواره ، فهاجم عسكر الأمير الرىض ، وأحرقوا ما حوله ، كما أحرقوا المسجد الجامع . واستمر القتال أياما انتسف الجند خلالها زروع أهالى الحصن ، وقطعوا أشجارهم ، فاضطر الأهالى

(٨٥) ابن حيان ، نفسه ، ص ٨٢ - حمدى عبد المنعم ، المرجع السابق ص ٩٠ .

(٨٦) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

في نهاية الأمر الى تسليم حصنهم ، وتمكنت عساكر قرطبة من دخوله
واسر من تبقى فيه (٨٧) .

ويوضح لنا بعد هذا العرض السريع لاهم أحداث كورتي شذونة
ومورور ان جزيرة قادس خرجت بالفعل عن الطاعة ، بدليل ان الأمير
ان المطرف والقائد أحمد بن هاشم دخلها لاقرار أمورها (٨٨) . ونستبعد
ان يكون ثوار قادس تابعين لطالب بن مودود ، فمورور كانت بعيدة
الى حد ما عن قادس . وأغلب الظن ان تكون قادس قد خضعت اما لابن
السليم صاحب مدينة شذونة لقربها الشديد من قادس او لسليمان
الشذونى الثائر بشريش وأركش ، وكانتا تشكلان مع قادس جزءا من
كورة شذونة .

(٨٧) نفس المصدر ، ص ١١٣

(٨٨) نفسه ، ص ١١٢

(٣)

قنادس فى عصر الخلافة الأموية

لما اعتلى الأمير عبد الرحمن بن محمد دست الامارة فى سنة ٣٠٠هـ عزم عزمًا صادقًا على إعادة الأندلس الى سابق وحدتها ، وقاد أول سنى امارته حملة غزا خلالها نحو سبعين حصناً من أمهات الحصون ، وما يقرب من ثلاثمائة من المراقب والحصون والابراج ، وعرفت هذه الغزوة بغزاة المنتلون ، وفيها يقول احمد بن محمد بن عبد ربه :

فى غزوة مائتا حصن ظفرت بها . . فى كل حصن غواة للعناجيج
ماكان ملك سليمان ليدركها . . والمبتنى سديا جوج وماجوج^(٨٩)

ومن أهم الحصون التى افتتحتها فى تلك الغزوة حصن المنتلون وحصن شمنتان وحصن شبيلش وحصون البشاريات بأسرها . وفى العام التالى (٣٠١هـ) أقدم على فتح اشبيلية ، وفى رواية ابن حيان عن هذا الفتح مايؤكد انضمام اقوام من كورتى لبلة وشذونة ، منهم عبد الوهاب بن عبد الملك الشذونى الذى يبدو انه كان أحد افراد أسرة الثائر سليمان بن محمد بن عبد الملك الثائر بشرىش وأركش من كورة شذونة ، الى قوات الأمير عبد الرحمن بن محمد أثناء حصارها لاشبيلية^(٩٠) . وعلى الرغم من اذعان عبد الوهاب الشذونى بالطاعة للامير وانضمامه الى قواته ، الا أن قريبه محمد بن سليمان بن عبد الملك الشذونى المعروف بالرهينى

(٨٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا وكورينطى ، ص ٥٨ ومايلها مجهول ، مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، تحقيق ليفى بروفنسال وغرسية غومس ، عنوانها
Una Cronica anonima de Abd al - Rahman III al - Nasir, Madrid, 1920, PP. 38, 39.

(٩٠) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٧١

استمر مخالفا للامير ، وظل متحصنا بأركش ومعه شهاب بن معاذ ، مما دفع الامير عبد الرحمن الى ان يركز غزوة في نفس هذا العام على كورة شذونة ، فأمر باستقدام عدة سفن من مالقة واشبيلية بعد أن تم افتتاحهما ، وأقام هذه السفن عند الجزيرة الخضراء بعد أن شحنها بالأسلحة والعتاد ، وأمر قادة هذه السفن بمراقبة السواحل كلها من حد الجزيرة الخضراء الى حد تدمير ، مستهدفا من ذلك قطع سبل الامدادات البحرية التي كان يبعث بها الفاطميون في المغرب الأدنى والوسط الى النائر عمر بن حفصون (٩١) . وما أن اطمأن الى ذلك حتى تفرغ لغزو كورة شذونة (٩٢) . ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله : « ثم رحل عنها (اي من الجزيرة الخضراء) بالعسكر فأتى حاضرة قلسانه » (٩٣) . فلما علم زعماء الثورة بشذونة بخبر تحركاته ولوا الأدبار ، « وهرب عند ذلك أيضا محمد بن سليمان بن عبد الملك الشذوني المعروف بالرهيني وشهاب بن معاذ ، ورحل العسكر من قلسانه فأحتل على حصن أركش وفيه نمارة بن سليمان أخو الرهيني الفار من العسكر ، فأنزله الناصر لدين الله وأراد البنيان عليه ، فترددت رسله ورسل أخيه محمد اللاحق به على الناصر ليدن الله رابعين في اعتقال الطاعة ، بأذلين رهنهما للوثيقة منهما على أن يباح لهما حصن الأصنام خاصة ، وأرسلا في عقد ذلك لهما سهيل بن عبد الله بن أسيد ، فأحسن التوسط لسانهما حتى أجابهما الناصر لدين الله الى ما التمس ذلك وسجل لهما على حصن الأصنام ، وقبض ولديهما رهينة » (٩٤) .

ولما تم للامير عبد الرحمن (الناصر) ذلك واصل غزاته الى باقى أنحاء كورة شذونة ، فوصل الى أحد حصونها وهو حصن شلبر ، وبني

(٩١) نفس المصدر ، ص ٨٨

(٩٢) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٦٥ .

(٩٣) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٨٨

(٩٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٨٨

حصن اشبره على حصن اقوط (٩٥) . وبدأت محاولات عبد الرحمن (الناصر) الجدية في اخضاع كورة شذونة منذ عام ٣١٠ هـ عندما خرج لغزو حصون كورة البيرة المخالفة ، ثم عرج منها الى كورة مورور ، ثم الى كورة شذونة «فوطىء ديار أهل الخلاف فيها ودوخها ، واستنزل كثيرا ممن كان تأمر هنالك بالباطل وصدع عصا الجماعة » (٩٦) .

وتكررت هذه المحاولات ، من ذلك على سبيل المثال خروجه عام ٣١٦ هـ وذلك عندما سير الناصر من ببشتر وزيره القائد عبد الحميد بن بسيل الى كورة شذونة على رأس جيش كثيف وأمره «بتبسيط الرعايا فيما هنالك ، وهدم حصون الكورة المتخذة للخلاف على الجماعة ، وجمع أهلها الى مدينة قلसानه قسبة كورة شذونة ، فأحكم عبد الحميد ما حد له من ذلك . . . واستنزل أيضا من جبال شذونة رجالا من رؤساء الخلاف

(٩٥) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٨٨ . ويبدو أن حصن أركش قد دان بالطاعة للناصر منذ هذا العام (٣٠١ هـ) ، فقد ذكر ابن حيان ما يؤكد ذلك في سياق حديثه عن عزل الناصر للوزير جهور بن عبد الملك البختي الملقب بقائد شذونة عن الوزارة في ربيع الاول من نفس هذا العام . وظل هذا الوزير جهور معزولا الى أن توفي بحصن أركش من كورة شذونة صدر المحرم سنة ٣١٢ هـ ، ودفن بحاضرة قلسانه الى جانب والده ، مما يؤكد استمرار تبعية أركش وقلسانه وما حولهما لعبد الرحمن الناصر (ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٧ - ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ١٨٥) أما حصن اقوط فكان أحد الحصون المخالفة للطاعة ، وكان ابن حميد هو اللأثر بهذا الحصن . (ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١١٤) . وقد وجه الناصر جيوشه الى هذا الحصن عام ٣٠٩ هـ وفي ذلك يقول ابن حيان : «ونظر الناصر لدين الله أيام مقامه على محاصرة حصن طرش في توجيه القواد في عدد كثيف من الاجناد الى حصن ببشتر قاعدة الضلالة وحصن اقوط وجبل الحجارة وما بينهما من اعمال الناكث سليمان بن عمر بن حفصون الناصب للتضييق عليهم والانتقاص من أعدادهم » (ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ١٧٢) .

(٩٦) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٨٠

انفذهم الى قرطبة والزموا سكانها « (٩٧) . فاننظم امر هذه الكورة
شان غيرها من الكور التى دخلت فى طاعته . وفى نفس عام ٣١٦ هـ أرسل
الناصر جيوشه الى حصون مغيلة من كورة شذونة لاتمام اخضاعها (٩٨) .
ويبدو أن هذه الكورة خضعت له تماما فى عام ٣١٦ هـ ، فقد أورد ابن
حيان أسماء العمال الذين استخدمهم فى الكور التى خضعت له ومن بينها
كورة شذونة التى تولاهها عبيد الله بن فهر فى عام ٣١٧ هـ (٩٩) .

ومن المرجح أن تكون قادس قد دانت بالطاعة والولاء للناصر فى
جملة الحصون والمدن التابعة لكورة شذونة . وتتوالى بعد ذلك أسماء
عمال هذه الكورة : ففى أخبار عام ٣١٩ هـ تولى عيسى بن عبد الملك على
كورة شذونة (١٠٠) . وفى عام ٣٢١ هـ تولى جهور بن عبيد الله الكورة
بعد أن عزل عنها أمية بن أسحاق القرشى (١٠١) الذى كان يتولاها فيما
يبدو فى عام ٣٢٠ هـ . ثم عزل جهور بن عبيد الله فى سنة ٣٢٢ هـ ووليها
مكانه أحمد بن أبى العاص (١٠٢) . وفى سنة ٣٢٣ هـ تولاه بكر بن
عبيد الله (١٠٣) ، ثم اسماعيل بن بدر بعده سنة ٣٢٤ هـ (١٠٤) ، ثم
خلفه عليها فى العام التالى (٣٢٥ هـ) (١٠٥) الأخوان عبد الوارث وعثمان

(٩٧) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، ٢١٩

(٩٨) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٢٣٦

(٩٩) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٢٥٣ . ويذكر ابن
عذارى أن عامل كورة شذونة فى سنة ٣١٦ هـ قد توفى بها واسمه
محمد بن هشام القرشى المعروف بابن الشبانسيه الذى كان مقيما
بشذونة (ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٩) ولعله كان قريبا
وربما أخا للمؤرخ الأندلسى معاوية بن هشام الشبنييسى .

(١٠٠) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(١٠١) ابن حيان ، نفس المصدر ، ص ٣٣١

(١٠٢) نفسه ، ص ٣٥٥ .

(١٠٣) نفسه ، ص ٣٧٧

(١٠٤) نفسه ، ص ٣٩١

(١٠٥) نفسه ص ٤١٦ .

ولدى سعيد ، وانفرد بولايتها عبد الوارث في العام الذى يليه
(٣٢٦هـ) (١٠٦) .

ويلاحظ في قائمة ولاية كورة شذونة ان مدة ولاية كل منهم لم تكن
تتجاوز العام الواحد مما يدل على حرص الخليفة الناصر على ألا
يتاح لاحد من هؤلاء الولاة خلال مدد ولايتهم القصيرة تمكين نفوذهم في
الكورة أو التمهيد للانتزاع بها .

وتتوقف المصادر بعد ذلك عن ذكر كورة شذونة بما في ذلك
قادس التي كانت تتبعها اداريا حتى سنة ٣٥٥هـ عندما ورد على الحكم
المستنصر بالله كتاب من عامله على قصر أبى دانس يبلغه فيه بظهور
اسطول النورمنديين ببحر الغرب على مقربة من تلك المدينة (قصر أبى

(١٠٦) نفسه ص ٤٢٩

وانظر الجدول التالى الذى ينتظم فيه أسماء ولاية الكورة ومدد
ولايتهم :

اسم الوالى	فترة ولايته
١ - محمد بن هشام القرشى	٢٠٠ - ٣١٦
٢ - عبيد الله بن فھر	٣١٧ - ٣١٩
٣ - عيسى بن عبد الملك	٣١٩ - ٣٢٠
٤ - أمية بن اسحاق القرشى	٣٢٠ - ٣٢١
٥ - جهور بن عبيد الله	٣٢١ - ٣٢٢
٦ - أحمد بن أبى العاص	٣٢٢ - ٣٢٣
٧ - بكر بن عبيد الله	٣٢٣ - ٣٢٤
٨ - اسماعيل بن بدر	٣٢٤ - ٣٢٥
٩ - عبد الوارث بن سعيد	٣٢٥ - ٣٢٦
عثمان بن سعيد	
١٠ - عبد الوارث بن سعيد	٣٢٦ - ٢

دانس (١٠٧) مما تسبب في اضطراب أهل الساحل الأندلسي الغربي كله (١٠٨) . فقد قدم النورمنديون هذه المرة في ثمانية وعشرين مركبا ، وتوالت الكتب باخبار هؤلاء النورمان وبوصولهم الى بيسط أشبونة ، حيث دارت معركة عنيفة بينهم وبين المسلمين انتهت باستشهاد عدد من المسلمين ، كما لقي عدد كبير من النورمنديين مصرعهم في تلك المعركة ، ثم أمر الحكم المستنصر باخراج أسطول اشبيلية ، فاقتحمت سفن المسلمين عليهم بوادي شلب ، وتمكنت من تدمير عدد من سفنهم (١٠٩) .

وفي رمضان من سنة ٣٦٠ هـ عاد الخطر النورمندى يتهدد سواحل الأندلس الغربية (١١٠) ، ومن بينها بطبيعة الحال ساحل جزيرة قادس التى طالما تعرضت في عصر الامارة لغزوات النورمان ، فأمر الحكم المستنصر « قائد البحر بالخروج الى المرية والتأهب للركوب الأسطول منها الى اشبيلية ، وجمع الأساطيل كلها للركوب الى ناحية الغرب (١١١)

(١٠٧) قصر أبى دانس أو قصر بنى وردانس أو بنى ادانس أو مدينة القصر Alcacer do sal مدينة بحرية على مصب نهر شطوبر في غرب الأندلس تنسب الى بنى ادانس البربر الذين أصطنعهم الخليفة عبد الرحمن الناصر (لمزيد من المعلومات أنظر : سحر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ بطليوس الاسلامية ، الاسكندرية ج ١ ، ١٩٨٩ ص ١٩٦ وما يليها) .

(١٠٨) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ٣٣٩

(١٠٩) ابن عذارى ، نفس المصدر ، ص ٣٣٩ ، وأنظر السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٨٢ .

(١١٠) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٤١

(١١١) نفس المصدر ، ص ٣٤١

الفصل الثالث

قادس مابين قيام دويلات الطوائف وسقوطها في أيدي القشتاليين
سنة ٦٦٢هـ

(١) الوضع السياسي لجزيرة قادس في عصر دويلات الطوائف

(٢) جزيرة قادس في عصر دولتي المرابطين والموحدين

الفصل الثالث

قادس ما بين قيام دويلات الطوائف وسقوطها في أيدي القشتاليين

سنة ٦٦٢هـ

(١)

الوضع السياسي لجزيرة قادس في عصر دويلات الطوائف

ليس في امكاننا معرفة الدويلة التي كانت تخضع لها قادس في عصر التمزق السياسي الذي أعقب سقوط الخلافة الأموية ، وعرف بعصر دويلات الطوائف . ولكن اذا القينا نظرة فاحصة في خريطة الأندلس في هذا العصر فاننا نشهد عددا من الامارات الصغيرة تناثرت في المناطق المجاورة او القريبة من قادس ، ومن بين هذه الامارات نلاحظ وجود بضع امارات بربرية قامت في جنوب غربى الأندلس وعلى الأخص شرقى نهر الوادى الكبير ، اقربها الى قادس امارة بنى دمر في مورور ، وامارة بنى خزرون في أركش وشذونة ، وامارة عربية للبكرين في ولبة وجزيرة شلطيش . وعلى هذا الاساس نجد انفسنا أمام أحد احتمالين : اما أن تكون قادس قد خضعت لواحدة من الامارتين البربريتين سالفتي الذكر ، او انها كانت تابعة لامارة البكرين العربية في ولبة Huelva وشلطيش Saltés . واغلب الظن انها كانت تابعة في النصف الاول من عصر دويلات الطوائف لامارة بنى خزرون ، وذلك لقرب قادس من مركز هذه الامارة (١) . ولقد ظلت هذه الامارة محتفظة باستقلالها الى أن سقطت في يد المعتضد بالله بن عباد ملك اشبيلية ، شأنها في ذلك شأن بقية الامارات البربرية الصغيرة التي سيطر عليها ، ومنها امارة بنى افرن في

(١) وحتى في حالة اذا اعتبرنا قادس من بين المدن التابعة لامارة البكرين ، فان هذه الامارة آلت بدورها الى مملكة بنى عباد اصحاب اشبيلية .

رندة Ronda ، وبنى برزال في قرمونة Carmona ، وبنى دمر في مورور Moron . وكان من الطبيعي أن تؤول المناطق التي كانت تابعة لامارة بنى خزرون بعد سقوطها في يد بنى عباد الى مملكة اشبيلية ، ونعتقد ، تأييدا لترجيحنا تبعية قادس لبنى خزرون ثم لبنى عباد ، ان بعض المؤرخين والجغرافيين العرب يعتبرون قادس من بين مدن كورة اشبيلية التابعة لها . ومن الأدلة التي نستند عليها في ترجيحنا لتبعية قادس زمن دويلات الطوائف لامارة بنى خزرون أصحاب اركش وشذونة بوجه خاص ، نص انفرد به ابن الخطيب في سياق حديثه عن أصول بنى خزرون البربرية ، فقد ذكر أن من بين أمرائهم « عبدون بن خزرون الرنداجى أمير بنى أرنيان ، أو يرنيان ، ويطونهم من القبائل الزناتية المتغلبين على كورة شذونة لأول الفتنة ، النازلين بقصبة قلشانه ، قام بسلطانه وراثة من والده أحد اكابر البرابرة المتأمرين لما خرجوا عن الجماعة ، وهو فتى دمت أنيث ماكر عطل من الفضائل ، لاتضاف اليه منها خلة صالحة ، الا انه رفق بقومه ، وأخذ عفوهم ، فاستقاموا له » (٣) . وانتساب بنى خزرون الى «الرنداجى» بدعونا الى الربط بينهم وبين شخصية أحد قادة الموحدين بقادس ممن ظهوروا في اواخر عهد الموحدين ، ذكره ابن أبى زرع في «الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية » يقال له القائد أبو عبد الله الرنداجى الذى تصدى للهجوم المسيحى على قادس في سنة ٦٤٢هـ وأعاد بناءها من جديد (٣) ، كما أسر ثمانين من زعماء الروم بقادس وقتلهم بها (٤) ، ولعله نفس القائد الذى ذكره نفس المؤرخ (ابن أبى زرع) وأسماء محمد الرنداجى وأشار الى انه قتل بوادى اشبيلية (٥) . واشترك بنى خزرون مع ذلك القائد

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩

(٣) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، نشر دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٢ ص ، ٦٦ .

(٤) ابن أبى زرع ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٨١ .

الموحدى فى الانتساب الى «الرنداجى» يدعونا الى الافتراض بأن قادس كانت من بين المدن التى كان يسيطر عليها بنو خزرون الرنداجى فى عصر دويلات الطوائف داخل نطاق كورة شذونة ، وأن افرادا من هذه الأسرة ظلوا يقيمون. فى هذه الكورة ، وفى قادس على وجه الخصوص حتى بعد انضواء اماره بنى خزرون فى فلك مملكة بنى عباد باشبيلية ، حتى ظهوروا كقادة للموحدين وحكام لقادس قرب نهاية عصر السيطرة الموحدية على الأندلس .

واول امراء بنى خزرون أصحاب شذونة زمن دويلات الطوائف هو عماد الدولة ابو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزرى^(٦) أمير بنى يرنيان^(٧) ، وكان من زعماء البربر الوافدين على الأندلس زمن الدولة العامرية ، وتهيأت له الظروف للانتزاع بقلسانة أو قلشانة^(٨) Calsena سنة ٤٠٢هـ عند استحكام الفتنة فى الأندلس ، وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على أركش^(٩) Arcos de la Frontera وعرف عماد الدولة بعنفه وقسوته ، وتوفى فى عام ٤٢٠هـ^(١٠) ، وخلفه ابنه عبدون بن خزرون الذى بايعته المدن المجاورة لأركش وشريش والجزيرة وقلسانه . وكان جائرا فى حكمه ، حكم زهاء ربع قرن ، الى أن استقدمه المعتضد بالله بن عباد صاحب اشبيلية مع رفيقين من أصحابه هما محمد بن نوح الدمري صاحب مورور ، و ابو نور بن أبى قره صاحب رنده ، ثم قتلهم ، وضم اماراتهم الى مملكته باشبيلية^(١١) فى سنة ٤٤٥هـ (١٠٥٣م)

-
- (٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٣ ص ٢٩٤
 (٧) نفسه ص ٢٩٤ وابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٣٨
 (٨) قلشانة مدينة سهلية من كورة شذونة تبعد عنها بنحو ٢٥ ميلا وتقع شمالى وادى لكه ، ويصب فيه على مقربة منها نهر بوطه ، وكانت مقر العمال والقواد (الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٦٦) .
 (٩) مدينة حصينة على وادى لكه ، تقع على بعد خمسين كيلو مترا شمال شرقى قادس .
 (١٠) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .
 (١١) ابن عذارى ، نفس المصدر ، ص ٢٧١

وتفصيل ذلك أن المعتضد دعا أمراء البربر الثلاثة : ابن خزرون صاحب شذونة ، وأبا نور بن أبي قرّة صاحب رنده ، وصديقه محمد بن نوح الدمري صاحب مورور ، بعد أن استمالهم بالصلات ، إلى اشبيلية مقر دولته في تلك السنة ليتجمل بهم في اعدار أولاده في الظاهر بينما كان يفكر في قتلهم في الباطن ، وضم اماراتهم إلى مملكته ، فأقبلوا إلى حاضرتة بعد أن استعدوا لذلك في أحسن زى وأفخم عدة ، في مائتي فارس من رؤساء قبائلهم ، فأكرمهم ، وأنزل أمراءهم في قصر من قصوره ثم اذن لهم في اليوم الثالث من وصولهم في الدخول عليه ، وحدث أن اعترض ابن نوح المعتضد في حديث له ، فوكزه المعتضد ، وأمر على الفور بتقييدهم وسجنهم ، وأمر بأخذ كل خيلهم وسلاحهم وأخبيتهم ، وأقاموا أسرى في يده مدة طويلة ، ثم «أمر بهم فأخرجوا من محابسهم ، وصرف عليهم جميع ما أخذهم لهم ، ثم صنع لأمرائهم طعاما ، وأدخلوا عليه ، فأكرمهم ، وأمر بتطيبب الحمام لهم ، وسار عبيده إليه معهم ٠٠٠ فلما دخلوا الحمام وجلسوا بأزاء الحوض ، خرج العبيد عنهم وقد أعدوا الجيار والأكجر ، فبنى عليهم على دفعة بيت الحمام ، وأمر السخان أن يكثر الوقود ، فالتف الحمام ، فقاموا من موضعهم يرومون الخروج ، فلم يجدوا مخرجا ، فكان آخر العهد بهم ، وأقام ذلك الحمام عاطلا إلى آخر أيام العباديين ودخول المرابطين (١٣) .

وخلف عبدون في حكم شذونة وأركش وذواتها أخوه محمد بن خزرون الذي تلقب بالقائم ، واهتم منذ توليه الامارة بتحسين بلاده بعد أن أحس بنوايا المعتضد العدوانية في الاستيلاء على بلاده ، واذ رأى المعتضد بن عباد يغير على امارته مخربا أرضها ، ومنسفا زروعها ،

(١٢) ابن عذاري ، البيان ، ج ٣ ص ٢٧١ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٣٩ .

ومدمرا عمرانها ، بادر ابن خزرون بالاتصال بباديس بن حبوس (١٣) أمير غرناطة ومالقة بعد أن تأكد من عجزه عن مواجهته ومقاومة ابن عباد ، واتفق الاميران على أن يقوم القائم باعطائه قلعة أركش وسائر البلاد التي تدخل في نطاق سلطانه ، على أن يعطيه ابن حبوس أرضا من غرناطة ينزل بها بنو يرنيان ليساعدوا قومه على الرحيل من أركش الى غرناطة . وعند فحص شلب (١٤) ا عترض المعتضد طريق هؤلاء الراحلين ودارت بين الجانبين معركة عنيفة في آخر يوم من سنة ٤٥٨هـ انتهت بهزيمة بنو يرنيان وقتل الأمير محمد بن خزرون ، وكان قد أمر بقتل زوجته وأخته قبل وفاته عندما علم بهزيمته حتى لاتقعيا في أيدي عسكر ابن عباد (١٥) ، « وملك ابن عباد قلعة أركش وسائر بلاد شذونة ،

(١٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٧٢

ينتسب باديس بن حبوس الى زيرى بن مناد الصنهاجى ، وكان زاوى بن زيرى قد قدم الى الاندلس هو وأخوته ومعه ابنا أخيه ماكسن وهما : حباسه وحبوس ، في عهد المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبى عامر ، فاستقبلهم عبد الملك أعظم استقبال ، وبالحق في أكرامهم والاحتفاء بقدمهم ، ووصلهم بصلاته الجليلة ، فاستقبلوا ماوصلهم به عبد الملك على كثرته ورفض زاوى الوزارة عندما عرضها عليه عبد الملك المظفر محتجا بأن خطته لاتعدو الحرب ، وأن أقلامه الرماح وصحائفه الاجساد وشارك وهو وقومه في وقائع الفتنة ، وتولى غرناطة ، ثم رحل عن الاندلس الى افريقية في سنة ٤١٦هـ وقيل في سنة ٤٢٠ (وفقا لابن الخطيب ، ص ٢٢٩) ونزل عند بنى عمه وأميرهم المعز بن باديس صاحب افريقية . (ابن عذارى ، ج ٣ ص ١٢٩) . ثم استوطن حبوس بن ماكسن ابن أخيه غرناطة بعد رحيله وأورثها عقبه . ودامت رئاسة حبوس حتى وفاته سنة ٤٢٨هـ فولى بعده ابنه باديس بن حبوس الملقب بالمظفر بالله الناصر لدين الله ، وكان ملكا مرهوب الجانب عظيم السطوة والسلطان ، ولما توفى باديس خلفه حفيده عبد الله بن بلقين بن باديس آخر ملوك غرناطة من بنى زيرى الصنهاجيين .

(١٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٣٩ .

(١٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ص ٢٧٣ - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ٢٣٩ .

وخطب له فيها ، واتصل نظره الى أول بلاد شرق الاندلس (١٦) « ،
وقيل أن ذلك تم في سنة ٤٦١هـ (١٧) . ولو صح ما رجحناه تكون قانس
قد آلت الى مملكة بنى عباد باشبيلية شأنها في ذلك شأن كل المدن
والحصون التابعة لشذونة .

ويبدو أن قانس تعرضت هى والمناطق المجاورة لها لغارة قام بها
الملك القشتالى الفونسو السادس فى أواخر عصر دويلات الطوائف ، فقد
أورد ابن أبى زرع فى أخبار سنة ٤٧٥هـ ما يشير الى أن المعتمد بن عباد
أرسل الى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين يعلمه بسوء أحوال الاندلس ،
وما آل اليه أمرها من تغلب العدو على أكثر ثغورها وبلادها ، ويسأله
نصرها ويلتمس منه العون ، فتحرك الفونسو السادس « فى جيوش
لاتحصى من الروم من الافرنج والبشكنس والجلالفة وغيرهم ، فشق
بلاد الاندلس شقا ، يقف على كل مدينة منها فيفسد ويخرب ويقتل
ويسبى ويرتحل الى غيرها ، ونزل على اشبيلية ، فقام عليها ثلاثة
أيام ، فافسد أحوازاها ، وهتكها ، وخرب بالشرف (١٨) Aljarafe
قرى كثيرة وكذلك فعل فى شذونة وأحوازاها ، ثم سار حتى وصل الى
جزيرة طريف فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال : هذا آخر بلاد
الاندلس قد وطأته ، ثم رجع الى مدينة سرقسطة « (١٩) . ولعل الكتاب

(١٦) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٧٣ .

(١٧) نفسه ، ص ٢٩٤ .

(١٨) الشرف على حد قول الحميرى (جبل شريف البقعة كريم التربة
دائم الخضرة ، فراسخ فى فراسخ طولاً وعرضاً ، لا تكاد تشمس
منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه ، وزيته من أطيب
الزيوت كثير الريع عند العصر لايتغير على طول الدهر ٠٠٠
ويقال ان فى الشرف ثمانية آلاف قرية عامرة وديارها حسنة ٠٠٠
وسمى بذلك لانه مشرف من ناحية اشبيلية ممتد من الجنوب الى
الشمال ، وهو كله تراب أحمر » (الحميرى ، ص ٣٤٠) .

(١٩) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، نشر يوحنا تورنبرغ ، أبساله
١٨٤٣ ص ٩٢

الذى أرسله المعتمد بن عباد الى ابن تاشفين الى جانب كتب أخرى كان لها أكبر الأثر في دفع يوسف بن تاشفين الى الجواز الى الاندلس للجهاد ضد قوى النصرانية ، وادى ذلك الى الانتصار الذى أحرزه المسلمون في موقعة الزلاقة (٣٠) المشهورة (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) .

(٢٠) عن موقعة الزلاقة ارجع الى ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ - الحلل الموشية ، تحقيق عبد القادر زمامه ، وسهيل زكار ، ص ٥١ وما يليها - مذكرات الامير عبد الله ، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ، ص ١٠٢ وما يليها - الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٨٧ - ٢٩٢ وأنظر :

Primera Cronica General de España, cd. Menendez Pidal, t. II.
P. 558 - Menendez - Pidal, La España del cid, t. I, p. 333, Madrid,
1947 - Manuel Torron Albarran, El Solar de los Aftasies, pp. 210-237.

وراجع أيضا سحر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لبطلانوس الاسلامية ، رسالة ماجستير ، ص ٤٢٣ - ٤٩٩

(٢)

جزيرة قادس في عصر دولتي المرابطين والموحدين

ذكر ابن القطان أن السليطين صاحب قشتالة (هو الفونسو السابع ريمندس المعروف أيضا في المصادر العربية باسم الفنش بن رمند) غزا في سنة ٥٢٧ هـ وبصحبه ابن هود (٣١) ، وكان قد استقر بعد أن سقطت سرقسطة دار ملك بنى هود في ايدى النصارى في ثغر روطة Rueda de Jalon ، أقام بها متعلقا بأذيال ابن ردمير (٣٢) ، الى أن عاوضه من روطة بخطة من مدينة تطيله Tudela ، فانتقل اليها بأهله . وذكر ابن الاثير في حوادث عام ٥٢٩ أن المستنصر بالله ابن هود صالح السليطين الفرنجى صاحب طليطلة على أن يسلم له حصن روطة الحصين (٣٣) . وذكر ابن الكردبوس أنه لما تولى أبو جعفر أحمد بن عبد الملك سيف الدولة المستنصر بالله بن هود «راسله طاغية الانبوطر الملقب بالسليطين وقال له : أرحل عن روطه وأعوضك عنها بقشتالة ماهو أحسن وأفيد ، وتقرب من غرب بلاد الأندلس ، وأخرج معك بنفسى وأجنادى وأبطالى ، وأطوف معك على تلك البلاد ، وتدعوهم الى طاعتك ، فمن أجابك ودخل فى جماعتك تركت عنده ثقاتك ، واستعملت عليه ولاتك ، وأمنته أنا من غارات الروم ، وكنت لهم كالأب المشفق الرحيم . فرسخ هذا الكلام فى رأسه ، وتمكن من نفسه ، وتخلّى له عن

(٢١) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن هود المعروف بسيف الدولة المستنصر آخر من تبقى من بنى هود أصحاب سرقسطة

(٢٢) الاسم لالفونسو الاول المحارب ملك أرغون ، ولكن يبدو أن المقصود هنا الفونسو السابع ملك قشتالة .

(٢٣) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ١١ طبعة بيروت المصورة من طبعة تورنبرج - ليدن ١٨٦٥ ص ٣٣ . وحصن روطة الوارد فى النص هى بلدة Rueda de Jalon وهى غير روطة الواقعة فى جنوب الاندلس على مقربة من قادس ، والتى اشتهرت برابطتها المقصودة بالزيارة .

معقل ما أبصر مثله من يعقل ، وأمر له بقشتالة من قرى ومزارع وأرضين ذات مراجع . ثم خرج معه الى غرب بلاد الاسلام في جيوش لاترام ، فما قصد موضعا الا ألفاه متقلعا ممتنعا ، ولا أطاعه بشر ولا أنبسط له من قرية من القرى أحد ولا انتشر . . . فرجع أخسر من صفقة أبي غبشان » (٢٤) . وفي رواية ابن الأبار في الحلة السيرة أن المستنصر بالله أقام بروطة الى أن تخلص عنها لأذفونش بن رمند المعروف بالسليطين ، وعوضه منها بنصف مدينة طليطلة وذلك في شهر ذي القعدة سنة ٥٣٤ هـ (٢٥) .

ويتبين لنا من النصوص السابقة أن المستنصر بن هود كان صنيعة الملك قشتالة (الفونسو ريمندس) وأنه شارك في غزوة قام بها هذا الملك القشتالي مخترقا الأندلس حتى سواحل البحر المحيط (البحيرة وطريف) متمثلا في ذلك معاصره الفونسو الأول المحارب (٣١) ، وهبطت قوات الفونسو السابع الى اشبيلية ، «وانبسطت خيلهم ، واقتحمت ما وجدت ، ثم هبطوا الى شريش ، فدخلوها ، وقتلوا من وجدوا فيها ، واستباحوا

(٢٤) ابن الكروبولس ، تاريخ الأندلس أو الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق د. أحمد مختار العبادي ، مدريد ، ١٩٧١ ، ص ١٢٠ ، ١٢١ . وأبو غبشان المذكور هو المحترش بن خليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي ، ويضرب به المثل في الحمق والندامة بحيث خسر الصفقة . (انظر الميداني ، مجمع الامثال ، ج ١ ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ، ص ٢١٦ ، ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص ١٢١ هامش ٥) .

(٢٥) واضح أن هذا التاريخ غير صحيح ، وربما حدث ذلك على حد قول د. حسين مؤنس في سنة ٥٢٤ هـ (انظر ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ص ٢٥٠) .

(٢٦) عن حملة الفونسو المحارب التي قام بها في سنة ٥١٩ بايعاز من المعاهدين بغرناطة والتي اخترق فيها بلاد المسلمين مخربا ومدمرا أرجع الى الحلل الموشية ، ص ٦٦ - وانظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٣١٩ ، ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ (عصر المرابطين) ص ٧٠ ومايليها .

وبالغوا في نكاية المسلمين ثم رجعوا الى بلادهم « (٢٧) . وذكر ابن عذارى المراكشي نقلا عن ابن حمادة أنه في سنة ٥٢٧هـ «وصل العدو دمره الله الى حومة مدينة شريش والبحيرة ولم يلقه أحد من المسلمين ، وصدر الى بلاده » (٢٨) .

وتشير الرواية المسيحية الى أن القشتاليين غزوا أراضي المسلمين في سنة ١١٣٣م (٥٢٧هـ) بقيادة الفونسو السابع ريمندس ، وانضم اليهم في هذه الغزاة سيف الدولة المستنصر بن هود . ووفقا لهذه الرواية قسم الفونسو السابع جيشه قسمين قاد أحدهما بينما قاد القسم الآخر صنيعته المستنصر بن هود وردريجو جنثالث دى لارا ، أحد رؤساء ليون . وعبر الجيشان جبل الشارات (سيرامورينا) والتقى في نواحي قرطبة . وعندئذ قام العسكر بانتساف الزروع وأرغموا الأهالي على الاحتماء بالحصون والمغارات ، وواصل النصارى تقدمهم الى أحواز اشبيلية وهم يحرقون ويدمرون ويعيثون في أراضي المسلمين ، ووصلوا الى شريش ، فخرجوا عمرانها ، ودمروا مبانيها ، ومن هناك ساروا الى قادس « (٢٩) .

ويفهم من سياق هذه الرواية أن القشتاليين وصلوا في غارتهم الى قادس التي ربما تعرضت لعدوانهم شأن غيرها من المدن . ولكن هذه الغارة لم تتكرر بعد ذلك في عصر المرابطين . ومما لاشك فيه أن قادس في هذا العصر أدت دورا حربيا هاما ، إذ كانت قاعدة بحرية من الطراز الأول ، يؤكد ذلك أن ولايتها من «بنى ميمون» اشتهروا بقدراتهم الحربية العالية وقياداتهم للأساطيل المرابطية ، وفاقوا قادة البحر من بنى

(٢٧) ابن القطان ، قطعة من نظم الجمان ، ص ٢٠٠

(٢٨) ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ (عصر المرابطين) ص ٨٨

M. I. afuente, Historia general de España, (Cronica Alfonso VII) vol. (٢٩) III P. 249.

عن محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، عصر المرابطين ، ص ١٤١ .

مردنيش في شرق الأندلس شهرة وحظا ، وبفضلهم ورث الموحدون هذا التفوق البحري ، وأصبحوا أمراء البحر بلا منازع .

ولا نعرف عن بنى ميمون سوى أنهم أسرة بحرية ظهرت ظهورا مشرفا في عصر المرابطين ، ولعب عميدهم أبو عبد الله محمد بن ميمون دورا هاما في سيطرة المرابطين على النصف الغربي من حوض البحر المتوسط . ومن المرجح أنهم ينتسبون الى أصول عربية ، وربما كان منهم من ساعد الأمير عبد الرحمن الداخل في المرحلة الاولى من تثبيت سلطانه في الأندلس في التغلب على الثائر حيوة بن ملامس ومن ساندته من البربر ، فقد ذكر صاحب « أخبار مجموعة في فتح الأندلس » ان الأمير عبد الرحمن حارب هذا الثائر ومن ناصره من بربر الغرب ، وأنه أمر بنى ميمون بمكاتبتهم ، واتفق معهم بنو ميمون على أن يخذلوا حيوة أثناء القتال ، ونجح بنو ميمون في خطتهم ، ودارت الدائرة على حيوة ورفاقه ، وسقط حيوة نفسه قتيلًا ، في حين أفلت صاحبه عبد الغافر الى المشرق (٣٠) .

وربما ينتسب بنو ميمون الى بنى عبد الدار الذين كانوا ينزلون بقرطبة واشبيلية ، ومنهم على سبيل المثال أبو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون بن أدريس بن محمد بن عبد الله العبدري (ت ٥٦٧هـ) (٣١) ، ولكننا نستبعد هذا الاحتمال استنادا الى أن اسم ميمون يتوسط الاسم ولا يدل على اسم الأسرة . ويبدو أن جماعة من بنى ميمون نزلوا بثغر دانية في شرق الأندلس ، وانتقل أفراد منهم الى المرية (٣٢) .

(٣٠) أخبار مجموعة ، ص ١٠٨
 (٣١) ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلاة ، تحقيق كويدرة ، ص ٧٥١ - ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق د. عبد الهادي التازي بيروت ، ١٩٦٤ ص ٢٢٦ .
 (٣٢) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢١٠ .

واياما كان أصل بنى ميمون ومنازلهم فى الأندلس ، فالذى لاشك فيه أنهم كانوا أسرة من البحريين ، تمرسوا فى ركوب السفن وتدريبوا على القتال البحرى ، وينقل المقرئ نصا هاما للشقندى فى سياق حديثه عن فضائل الأندلس ، ذكر فيه أن بنى ميمون كانوا قادة البحر زمن الموحدين ، ومنهم من قهر النصارى فى البحر ، وأغار على السواحل المسيحية المطلة على السيف الشمالى لحوض البحر المتوسط الغربى ، وإشاعوا الذعر فى نفوس أهلها ، ويعبر عن ذلك بقوله : « وفيها (أى المرية) كان ابن ميمون القائد الذى قهر النصارى فى البحر ، وقطع سفرهم فيه ، وضرب على بلاد الرمانية ، فقتل وسبى ، وملا صدور أهلها رعبا حتى كان منه كما قال أشجع :

فاذا تنبه رعته واذا غفا . . . سلت عليه سيوفك الأحلام» (٣٣)

ويجعل ابن خلدون مجال نشاطهم البحرى والادارى فى جزيرة قادس ، وفى ذلك يقول : «وكان الجانب الغربى من هذا البحر موفور الأساطيل ، ثابت القوة ، لم يتحيفه عدو ، ولا كانت لهم به كرة ، فكان قواد الأسطول به لعهد لمتونة (المرابطين) بنى ميمون رؤساء جزيرة قادس» (٣٤) .

(٣٣) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ - أحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والأندلس ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٢٤١ .

(٣٤) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، طبعة بيروت ١٩٦١ ، ص ٢٥٥ . وربما استقر فرع من هذه الاسرة فى جزيرة شقر القريبة من دانية ، فقد أورد ابن الأبار فى التكملة ترجمة لاثنتين من قضاة جزيرة شقر ينتسبان الى بنى ميمون ، هما عبيد الله بن أحمد بن ميمون المخزومى ، وعبيد الله بن ميمون الانصارى الذى عرف بابن الأديب (ت ٥٥٦هـ) (انظر ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج ٢ ، ص ٥٣٤) . وواضح من الاسمين أنهما لفقيهين أو لعالمين من علماء جزيرة شقر ، ولو كان افتراضنا صحيحا وصحت نسبتها الى بنى ميمون فإن ذلك ينهض فى هذه الحالة دليلا على أن بعض أفراد هذه الأسرة اشتغلوا بالأدب والفقه .

وأول من برز من بنى ميمون البحريين ، وذاعت شهرته في الأفاق أبو عبد الله محمد بن ميمون (٣٥) الذى تولى قيادة أسطول المرابطين في عهد على بن يوسف ، وكان يتخذ من المرية فيما يبدو قاعدة لسفنه (٣٦) .

ويرجع السبب في ظهوره واستخدامه قائدا لأسطول المرابطين الى دوره البطولى الذى قام به عندما هاجم أسطول جنوة وبيشه جزيرة يابسه Ibiza من عمل ميورقة ، واستولى الجنويون والبيشيون عليها وانتهبوها ، وسبوا أهلها في سنة ٥٠٨ هـ. (أغسطس ١١١٥ م) . ثم فاجأ أسطول البيشيين والجنوية وشاركهم أمير برشلونه رامون برنجر وطائفة من أربونه ومنبلييه (٣٧) جزيرة ميورقة بالحصار ، فبادر ناصر الدولة مبشر بن سليمان والى الجزيرة بالكتابة الى الأمير على بن يوسف يستصرخه ويستنصره ، ولم يجد من يقدم على حمل هذا الكتاب الى الأمير سوى أبا عبد الله محمد بن ميمون ، ذلك البحرى الجرىء المغامر ، الذى قبل أن يحمل الرسالة لاستنقاذ الجزيرة من الخطر الجاثم الذى يتهدها . ونجح ابن ميمون في اختراق الحصار بغراب كان بين يديه ، اذ خرج ليلا من دار الصناعة وقد تستر بالظلام ، وتمكن من العبور الى

(٣٥) التجانى ، رحلة التجانى ، نشر الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ١٩٥٨ ص ٣٣٩ . ويسميه في موضع آخر على بن ميمون (نفس المصدر ، ص ٣٣٥) ويعلق الدكتور أحمد مختار العبادى على اضطراب المصادر حول اسم ابن ميمون بأن منهم من يذكره على أنه على بن ميمون ، والبعض على أنه محمد بن ميمون (أحمد مختار العبادى ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦) . والحقيقة أن هناك قائدين بحريين من أسرة بنى ميمون ، الاول هو أبو عبد الله محمد بن ميمون والثانى هو أبو الحسن على بن عيسى بن ميمون ابن أخت القائد الاول (المقرئ نفح الطيب ، ج ١ ص ١٥٧) .

(٣٦) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٤ ص ٢٠٦
(٣٧) Jacinto Bosch Vila, los Almorávides, Tetuan, 1954, p. 191.

المغرب ، واستنهض عزيمة الأمير على بن يوسف على التحرك السريع لتخليص ميورقة من غزو محقق . ولم يتردد الأمير على بن يوسف في تعمير ثلاثمائة قطعة بحرية على الفور وتسييرها الى ميورقة بقيادة قائد البحر ابن تاقراطاس ، فلما شعر العدو بخروج هذا الأسطول رفع الحصار عن الجزيرة وصدر عنها مكتفيا بما حمله من السبى والغنائم . ومنذ ذلك الحين « تعين ابن ميمون عند أمير المسلمين » (٣٨) ، فقدّمه على بن يوسف قائدا للأسطول البحرى بالمرية في سنة ٥١٠ هـ ، « فكان له غزوات مشهورة وأمور مذكورة » (٣٩) . وكان يوجه حملاته البحرية على صقلية وإيطاليا الجنوبية ، وكان على حد قول ابن الخطيب « صاحب الأسطول وصنيعة المثلثين ، وقد كان وفي لهم واستمسك بدعوتهم » (٤٠) . وكانت له في البحر صولات وجولات ضد أعداء الاسلام ، وشارك في كثير من العمليات البحرية التي قام بها المرابطون ضد النورمنديين في صقلية ، التي كانت قد سقطت في أيدي هؤلاء النورمنديين في سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩٢ م) . ومنذ ذلك الحين أصبحت صقلية مركزا يغير منه النورمنديون على سواحل افريقية مما دفع الزيريين أصحاب افريقية الى الاستعانة بالمرابطين بنى عموميتهم . فكان الأمير على بن يوسف يعهد الى قائده أبى عبد الله محمد بن ميمون بالاغارة على صقلية والعيث في بلاد رجار الثانى . ففى سنة ٥١٥ هـ عهد الأمير على بن يوسف الى قائد البحر أبى عبد الله محمد بن ميمون بغزو «بلاد الروم» ، ويقصد بها هنا سواحل إيطاليا ، وفي ذلك يقول ابن عذارى : « وفي هذه السنة نفذ عهد أمير المسلمين على بن يوسف الى (أبى عبد الله) محمد بن ميمون قايد الأسطول بتعمير حملة وغزو بلاد الروم بها ، فعمر خمسة وعشرين (فراخ) الدربة والنجدة ، فاستفتح

(٣٨) ابن الكردبوس ، كتاب الاكتفاء ، ص ١٢٢ ، وانظر مختار العبادى ، تاريخ البحرية الاسلامية ص ٢٤٤ .

(٣٩) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٤ (عصر المرابطين) ص ٦٢ .

(٤٠) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٥٦ .

مدينة قطرون وهى على مسافة يوم من مدينة (فراخ) فيها ، وامتنعت جملة من أهلها بقصبتها وهى وعرة المرتقى باسقة الذرى ، فتعلقت (فراخ) وأشرفوا على استفتاحها ، فحماها الليل (فراخ) دونها وصدر المسلمون الى الأسطول وعدّها (فراخ) وخمسون راسا من السبى وكثير (فراخ) وانصرف عنها القائد الى المرية « (٤١) » .

وفى السنة التالية (سنة ٥١٦هـ) سير على بن يوسف ابا عبد الله محمد بن ميمون قائد أسطوله الى صقلية لغزو نقوطره Nicotra من عمل رجار ، ففتحها وسبى نساءها وأطفالها . وكان الامير الزيرى على بن يحيى بن تميم صاحب افريقية قد كتب الى رجار عندما وقعت بينهما الوحشة يتهدهه بادخال المثلثين والعرب الى صقلية ، فلما كان من غزو ابي عبد الله ماكان من غزوه لنقوطره ، لم يشك رجار صاحب صقلية ان السبب الباعث على ذلك والمحرك له هو على بن يحيى ، «فاستنفر اهل بلاد الروم قاطبة ، واكثر الاستنصار واستجاش وحشد كأنما فى ذلك كله لأمره ، فمنع السفر الى سواحل المسلمين ، والتأم له مالم يعهد مثله « (٤٢) » .

وذكر الزهرى أن «غارات المسلمين فى البحر من بلاد الأندلس الى هذه البلاد (بلاد الرمانية) ، وكان يومئذ على الأسطول محمد بن ميمون من مدينة المرية ، وغزاها من بعده من اشبيلية عيسى بن ميمون « (٤٣) » . وظل ابو عبد الله بن ميمون مواليا للمرابطين مخلصا فى خدمتهم الى أن تهاوت دعائم دولتهم بعد وفاة على بن يوسف . ومع ذلك فقد واصل

(٤١) ابن عذارى ، البيان المغرب (القسم الخاص بالمرابطين) ج ٤ ،

ص ٦٦ .

(٤٢) نفس المصدر ، ص ٦٧ ، وانظر ايضا : امارى ، المكتبة الصقلية ،

نصوص جمعها الاستاذ ميشيل امارى ، ونشرها فى ١٨٥٧ ، ص ٣٧١

(٤٣) الزهرى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق ،

١٩٦٨ ، ص ٧٦ .

بذل خدماته للأمير تاشفين بن علي . وكان هذا الأمير قد ابنتى حصنا بحريا على مقربة من وهران اتخذها ملاذا له وحصنا يتحصن فيه ، واوز الى أبى عبد الله محمد بن ميمون قائد أسطوله بالمرية بأن «يجهز له عشرة أجفان غزوية تكون بمرسى هذا الحصن ، معدة لحادث يحدث عليه وان الجأته ضرورة الى الجواز الى الأندلس جاز » (٤٤) .

فلما اختلت أحوال تاشفين ، وحاصره الموحدون في شعاب الجبال كتب الى ابن ميمون قائد أسطوله ، يأمره بالاقلاع الى ساحل وهران ، واتجه تاشفين اثر ذلك الى الحصن المذكور ليقلع منه على الأجفان الأندلسية الى الأندلس ، ولكنه تردى بفرسه في أحد الاجراف القريبة من الحصن ، فهوى به فرسه من شاهق بازاء رابطة وهران ، فتوفى في ليلة ٢٧ رمضان سنة ٥٣٩ هـ (٤٥) .

وهكذا لم يقدر لابن ميمون أن ينقذ الأمير تاشفين بن علي مع خلوص نيته في انقاذه ، وعلى الرغم من اقتناعه بانهياء دولة المرابطين لاسيما بعد مصرع تاشفين وقيام الثورات على المرابطين في مناطق عديدة من الأندلس (٤٦) ، فقد ظل وفيا لهذه

(٤٤) مجهول ، الحلل الموشية ، تحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ ، ص ١٣٢ .

(٤٥) البيذق ، كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٧ - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ .

(٤٦) من ذلك أبو القاسم أحد بن قسى في مرتله ، وأبو محمد سدرای بن وزير في الغرب ، ويوسف البطروجي بلبله ، ولبيد بن عبد الله بشنترين ، وأبو القمر بن عزوز بشرش ، وعلى بن عيسى بن ميمون بقادس ومحمد بن المنذر بشلب ، وابن عنان فارس بيابرة ، ومحمد بن علي بن الحجام ببطنبوس ، وأبو جعفر أحمد بن حمدين بقرطبة ، وأبو الحكم بن حسون بمالقة ، وأبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز ببطنسية ، وأبو عبد الله بن أبي جعفر بمرسية ، وأبو أمية أحمد بن عاصم بأريولة ، ويوسف بن عبد الرحمن بن جزى بجيان ، وأبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش بشرق الأندلس .

الدولة (٤٧) ، مواليا وهو في قاعدته البحرية بالمرية لبنى غانية أصحاب
جزر البليار الموالين للمرابطين ، ومن الادلة التى نستند عليها فى ذلك

(٤٧) يذكر البيذق فى معرض حديثه عن أحداث الفترة التى سبقت مقتل
تاشفين بن على مباشرة أن القائد ابن ميمون كان فى طريقه بحرا
الى وهران لانقاذ تاشفين فى الوقت الذى كانت قوات الموحيدين
تقطع الطريق على تاشفين لقتله واسقاط دولته (البيذق ، المصدر
السابق ، ص ٩٨) . واذا كان هذا النص يعبر عن وفاء ابن
ميمون لسيده تاشفين بحيث خرج بالقطاع تجاه وهران لانقاذه
فان البيذق يسوق خبرا نقله ابن عذارى عنه باختصار يؤكد فيه
أن ابن ميمون القائد أعلن توحيدده قبل مقتل تاشفين بن على بفترة
قصيرة للغاية وذلك عقب الهزيمة التى تلقاها على أيدي الموحيدين
بالقرب من بجاية فى منطقة تعرف بين الصخرتين . يقول البيذق:
« وعند ذلك جاءت الحملة من بجاية وقائدها ابن ميمون بن
المنتصر ، فطلعوا على قتالنا فهزمناهم من بين الصخرتين الى باب
المدينة ، فقتلنا منهم الذى وعد الله بقتله ، فأصبحوا هارين ،
ولحق القائد ابن ميمون الى متيجه ، فبعث للخليفة رضى بالتوحيد ،
وقال له : ان أنت استفتحت المغرب فتجىء الى المشرق نصيبه
مفتوحا وأنا قائده » (البيذق ، أخبار المهدي ، ص ١٠٥ ، ١٠٦) .
أما ابن عذارى فيذكر أنه لما وصلت حملة بجاية لنصرة تاشفين سنة
٥٣٩هـ بهدف قتال الموحيدين ، وكان يقودها ميمون بن المنتصر ،
هزمهم الموحدون من الصخرتين الى باب تلمسان ، وبعث القائد
المذكور الى عبد المؤمن يعلمه بتوحيده سرا ، ويعلمه بفتح افريقية
اذا فتح المغرب . (ابن عذارى ، ج٤ ص ١٠٣) .
واذا اخذنا برواية البيذق وابن عذارى ، فان مضمون الرواية يشير
الى أن قائدا يدعى ميمون بن المنتصر بايع الموحيدين سرا قبل وفاة
سيده تاشفين . ونعتقد أن اسم هذا القائد (ميمون بن المنتصر)
ليس الاسم الذى عرف به قائد البحر ابو عبد الله محمد بن ميمون ،
وأن الاسمين لشخصين مختلفين . ثم انه ليس منطقيا أن يوحد
ابن ميمون القائد الوفى لتاشفين قبل مصرع تاشفين بقليل فى
الوقت الذى كان يخلص لتاشفين ويسعى الى انقاذه فى رابطة
وهران قبل أن يلقي مصرعه . ونستدل على صحة هذا الرأى من
رواية أوردها ابن عذارى وضح فيها الاختلاف بين ابن المنتصر وابن
ميمون ، فبينما يذكر أن ابن المنتصر الذى وصل من بجاية فى سنة
٥٣٩ بعد هزيمته على أيدي الموحيدين اتصل بعبد المؤمن سرا يعلمه
بتوحيده ، يستطرد قائلا : «ولقى تاشفين بعسكر مشئت والقائد
ابن ميمون فى الاسطول فى البحر برسم أن يطلع تاشفين فيها أن =

أن القائد محمد بن ميمون قبض وهو بالمرية على أبى مروان عبد الملك بن عبد العزيز صاحب بلنسية الذى فر من بلنسية ولحق بجبال المرية « وقيدته وفاء لبني غانية ، وأقام عنده الى أن دفعه الى عبد الله بن محمد (بن على بن يوسف بن غانية المسوفى) عدو ابن عبد العزيز وطريده من بلنسية وشاطبه ، وقد ورد على المرية فى قطع ميورقة برسم اتباع العدو ، فعف عبد الله عن دمه واحتمله معه مقيدا ، ونقم الناس على ابن ميمون فعله » (٤٨) . وعندما أخرج أهل المرية من كان لديهم من حامية المرابطين ، واختلفوا فيما بينهم عن يقدمونه عليهم ، وقع اختيارهم على القائد أبى عبد الله محمد بن ميمون ، فرفض أبو عبد الله هذا الاختيار ، واعتذر بقوله : «انما أنا رجل منكم ، ووظيفتى البحر وبه عرفت ، فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به ، فقدموا على أنفسكم من شئتم غيرى » ، فقدموا على أنفسهم رجلا منهم يدعى عبد الله بن محمد الرميمى (٤٩) .

ويبدو أن اخلاص أبى الله محمد بن ميمون للمرابطين لم ينسه واجبه الأول فى الجهاد البحرى ضد قوى المسيحية ، وربما كان ذلك هو السبب الذى من أجله دخل فى خدمة الموحدين ، ودفعه ذلك الى مهاجمة النورمنديين فى صقلية (٥٠) ، والاشتراك بحرا مع الموحدين فى تحرير

= رأى مالا طاقة له من قتال الموحدين ، فلم يقدر الله . وخرج عسكر من الموحدين واتباعهم لقتال تاشفين قود عليه عبد المؤمن بن على السيد أبا حفص ، فهزم عسكر تاشفين ، وتبعه ، وأحاط به وحصره ، فخرج تاشفين فارا بنفسه يريد الدخول فى القطائع ، فبينما هو سائر على فرسه فى الليل اذ صادف حافة حاف منها ومات » (ابن عذارى ، ج ٤ ص ١٠٤) .

(٤٨) ابن الابار ، الحلة السراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، ج ٢ القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٢٢ .

(٤٩) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢١٠ .

(٥٠) التجانى ، رحلة التجانى ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ . ومن الجدير بالذكر أن التجانى يسميه محمد بن عبد العزيز بن ميمون .

المهدية من الاحتلال النورمندی (٥١) . وهذا يدعونا الى الاعتقاد بأنه كان مجاهدا بحريا، بغض النظر عن تبعيته سواء للمرابطين أو الموحدين وهو في سبيل الجهاد البحرى اضطر الى الدخول في خدمة الموحدين .

وتلى شخصية أبى عبد الله محمد بن ميمون من بين قواد البحر من بنى ميمون شخصية أبى الحسن على بن عيسى بن ميمون والى جزيرة قادس ، وقائد أسطول المرابطين في جنوب الأندلس (٥٣) . وعلى بن عيسى هذا هو ابن أخت قائد البحر محمد بن ميمون (٥٣) . وكان بخلاف خاله محمد بن ميمون لانتهمه إلا مصلحته الشخصية ، فلما انهارت دولة المرابطين بمصرع أميرهم تاشفين ، لم يتردد في الخروج عليهم ، فكان في مقدمة من ثار من زعماء الأندلس على المرابطين عندما أيقن بقرب نهايتهم ، فأقدم على خلع طاعتهم سنة ٥٣٩هـ ، وأعلن استقلاله بجزيرة قادس . وفي سنة ٥٤٠هـ عبر البحر الى المغرب ، وسار الى لقاء عبد المؤمن بن على ، وكان يومئذ قائما على حصار فاس ، فقدم اليه طأهته ، ثم عاد الى قادس ، وأقام بها الخطبة للموحدين (٥٤)

(٥١) الحلل الموشية ، ص ١٥٤ .

(٥٢) تمكن أبو الحسن على أثناء خدمته للمرابطين من أسر القائد القطلانى البربرتيير Reverter ، واستأفقه الى مراكش (ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ص ١٩٣ وما يليها) وكان البربرتيير قائدا لطائفة النصارى الذين دخلوا في خدمة المرابطين وأخلصوا في خدمتهم (ابن عذارى ، ج ٤ ص ٩٨) . وقد لقي البربرتيير مصرعه في سنة ٥٣٩ في إحدى معاركه مع الموحدين (ابن عذارى ، ص ١٠٣) .

(٥٣) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٥٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ . وأنظر محمد عبد الله

عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٢١ ، ٣٢٣ .

Anwar G. Chejne, Historia de España musulmana, p. 75.

وكان أبوه عيسى بن ميمون قائدا له شهرته في البر والبحر ، كما أسندت إليه ولاية شنتمرية الغرب (٥٥) . ويبدو أن خلافا وقع بين عيسى بن ميمون وبين بنى غانية بقرطبة ، ربما بسبب ميل عيسى بن ميمون للموحدين ، ولهذا أقدم بنو غانية على حبس ابن ميمون في سجن قرمونة (٥٦) . فلما افتتح الموحدون مدينة فاس في ذى القعدة سنة ٥٤٠هـ ، فر صاحبها يحيى بن أبى بكر الصراوى ، وتحصن بسبته . ولكى يطلق على بن عيسى بن ميمون سراح والده عيسى السجين بقرمونة قبل أن يجيز الصراوى الى قادس ، كما أجاز من كان برفقته من اللمتونيين ومرتزقة القطلان والقشتاليين الذين كانوا في خدمته الى جزيرة قادس . وفي مقابل ذلك قبل ابن الصراوى أن يشفع في عيسى بن ميمون والد القائد على لدى بنى غانية بقرطبة ، وامكنه أن يخرج من سجنه بقرمونة ويسرجه اليه (٥٧) ، وضمانا لاطلاق سراح أبيه سطا على بن عيسى على خيل ابن الصراوى ، واعتقل من بقى لديه من رجال وارتعنهم في قادس . فلما وصل يحيى الصراوى الى قرطبة أوفى بعهدده وأطلق سراح عيسى بن ميمون ، الذى لم يتردد في التوحيد والدخول في طاعة عبد المؤمن بن على ، وشارك الموحديين في غزو شلب سنة ٥٤٣هـ (٥٨) .

أما ابنه صاحب البحر أبو الحسن على بن عيسى الذى ثار بقادس ضد المرابطين ، فقد سبق أباه في بذل الطاعة لعبد المؤمن بن على ، وذلك في طليعة عام ٥٤٠هـ ، ولم يتردد في العبور الى العدو ومقابلة عبد

-
- (٥٥) ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ، ص ٣٩ .
 (٥٦) ابن عذارى ، نص جديد لابن عذارى ، نشره عبد القادر زمامة ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمديرى ، عدد ٢٠ ، مدريد ١٩٨٠ ، ص ٨١ .
 (٥٧) ابن عذارى ، نص جديد ، نشره عبد القادر زمامة ، ص ٨١ .
 (٥٨) ابن عذارى ، نفس المصدر السابق ، ص ٨٩ ، وانظر ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ، ص ٣٩ .

المؤمن أثناء قيامه بحصار فاس كما سبق أن ذكرنا ، وهناك بايعه وقدم له فروض الطاعة . ثم أمره عبد المؤمن بالعودة الى قادس وهدم صنمها المشهور (٥٩) ، « فانصرف ، وشاع خبره بجزيرة الأندلس ، وخطب له على بن عيسى بجامع قادس ، وهى أول خطبة خطبت له (أى لعبد المؤمن) بجزيرة الأندلس ، وذلك فى أول عام أربعين وخمسة » (٦٠) .

وفى نفس الوقت أقنع على بن عيسى أحمد بن قسى الصوفى الثائر على المرابطين وصاحب حصن مرتلة ببذل الطاعة لعبد المؤمن ، فأجازه فى غراب هو وأصحابه المختصين به من مرتلة الى سبته . أما على بن عيسى بن ميمون ، فقد اهتم فور عودته الى قادس بهدم صنمها ذائع الصيت استجابة لأمر عبد المؤمن من جهة ، واعتقادا منه أن هذا الصنم يحتوى فى داخله على كنوز ضخمة ، وأن جوفه حشى بالتبر . فبادر بتدميره ، ولكن خاب ظنه ، ولم يستخرج من حجارتة سوى كميات كبيرة من الرصاص والنحاس المذهب المعقود بالحجارة (٦١) .

وكان يقال أنه اذا هدم صنم قادس استولى النصرارى على بلاد

(٥٩) كان الموحدون يكرهون التمثيل بخلق الله ، ولهذا كانوا يكرهون الصور الآدمية ويعتبرونها أصناما ، وقد فعلوا نفس الشيء بتمثال الزهراء الذى كان منصوبا على باب مدينة الزهراء ، اذ أمر المنصور الموحدى بانزاله وتدميره أثناء تقدمه بجيوش الموحيدين للقاء قوى المسيحية مجتمعة .

(٦٠) ابن عذارى ، البيان ، نص جديد ، ص ٨٣ .

(٦١) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩١ - ياقوت ، معجم البلدان ، مادة قادس - الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٩ - المقرئ ، نفى الطيب ، ج ١ ص ١٢٧ ، ١٥٧ .

الاندلس ، واتفق أن دخل النصارى قرطبة في سنة ٥٤٠ (٦٢) .

كذلك قيل أن الذي يتجرأ على هدمه يموت مقتولا (٦٣) ، وهكذا كان (٦٤) .

(٦٢) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٩ . كان أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين الذى انتزى بقرطبة قد خرج عنها بعد أن أقدم أحمد بن عبد الملك بن هود صاحب روضة Rueda على دخولها فى قوة من أنصاره القشتاليين ، ولكن أهل قرطبة تبرموا بحكمه سريعا وضاقوا ذرعا من استبداد وزيره ، وثارت نفوسهم غضبا لمجرد رؤية أجناده النصارى يجوبون شوارع قرطبة ، فانقلبوا على ابن هود بعد ثمانية أيام من تبعيتهم له ، فاضطر ابن هود الى الفرار الى جيان ، وعاد ابن حمدين فى أعقاب ذلك الى قرطبة فى ١٠ ذى الحجة سنة ٥٢٩ هـ ، فنودى به أميراً عليها للمرة الثانية (ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٥٣) . ولكن أهل قرطبة لم يلبثوا أن تبرموا به بعد مضى ١١ شهرا من توليه الامارة فاتصلوا ببيحى بن غانية باشبيلية واستعانوا به على أخراج ابن حمدين من بلدهم ، فقدم ابن غانية فى جمادى الآخرة من سنة ٥٤٠ هـ ومعه فرقة من النصارى ، وأوقع بقوات ابن حمدين فى احواز استجه ، ودخل قرطبة فى ١٢ شعبان سنة ٥٤٠ هـ . ودخل النصارى قرطبة وعاثوا فسادا فى مسجدها الجامع ، وربطوا خيولهم فى أروقتها ، وأقاموا قداسا حافلا ، ويؤرخ المراكشى هذه الحادثة خطئا بسنة ٥٠٣ (عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٢٧٣) . ويذكر ابن غالب صاحب فرحة الأنفس هذه الحادثة بشيء من التفصيل فيقول : « ودخلت النصارى هذا الجامع المكرم عند دخولها قرطبة سنة أربعين وخمسمائة عندما هاجت الفتنة الثانية ، ثم من الله تعالى بخروجهم بعد تسعة أيام أو نحوها ، وحملت التفاتيح التى كانت فى المنار من الذهب والفضة ، وحمل من المنبر نحو نصفه ، وبقي الباقي ، ونهبت أوصاله وثريات الفضة عند دخولهم ، وأما باب الذهب الذى كان للمقصورة فإنه نهب مع بيت مال الجامع فى الفتنة الأولى » (ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق د. أحمد لطفي عبد البديع ، ص ٣٠ ، وأنظر السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ج ١ ص ١٤٨ ، وهامش ٢) .

(٦٣) البيهقي ، أخبار المهدي ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ - الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٩ .

(٦٤) البيهقي ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

ومن المعروف أن على بن عيسى بن ميمون اشترك مع القوة الموحدية المتجهة لفتح اشبيلية في أواخر عام ٥٤١ هـ . فقد حاصرتها سفنه بحرا ، وساعد بذلك جيش الموحدين ومن انضم الى هذا الجيش من زعماء الأندلس الثوار أمثال أبو محمد سدرای بن وزیر شيخ أهل الغرب ، ويوسف بن محمد البطروجي الثائر بلبله ، ولبيد بن عبد الله قائد شنترين (٦٥) .

وفي سنة ٥٤٢ هـ خرج على بن ميمون صاحب قادس وشنتمرية الغرب على الموحدين في نفس الوقت الذي ثار فيه أحمد بن قسى في شلب ، والبطروجي في لبلة ، وابن الحجام في بطليوس ، وابن غانية في الجزيرة على الموحدين وأخرجوهم . أما على بن عيسى بن ميمون الثائر في قادس فقد امتنع عن امداد اشبيلية بالعدد والأقوات بحرا عندما حوصر والياها عبد العزيز وعيسى أخوا المهدي محمد بن تومرت ، فقد كان على بن عيسى قائد البحر «مالكا له ، لاتجرى جارية فيه خوفا منه ، لاستباحته أموال التجار ودمائهم الذين يسوقون الأقوات ويتصرفون في مصالح المسلمين ، يقتلهم بسيفه ، ويسقيهم الموت من خوفه » (٦٦) .

ولكن على بن عيسى بن ميمون لم يلبث أن أعلن عودته الى طاعة الموحدين (٦٧) ، وأظهرا لحسن نواياه نحوهم ، جاز الى العدو ،

(٦٥) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ٣٤ - ٣٦ ، وانظر محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٢٧ .

(٦٦) ابن عذارى ، نص جديد من البيان ، ص ٨٨ .

(٦٧) في أواخر عصر دولة المرابطين ثار جماعة من أهالى الأندلس عليهم ، وأخذت وفود الأندلسيين تتوالى على عبد المؤمن بن على في المغرب ، ومن بين زعماء الثوار الذين وفدوا على عبد المؤمن بن على أبو الغمر السائب بن عزون زعيم الثوار في شريش وأركش ورنده ، وأبو جعفر بن حمدين الثائر بقرطبة ، وقد وفدا =

وحاصر يحيى بن أبى بكر الصحراوى الثائر فى سبتة ، ولكنه لقى

= عليه فى سنة ٥٤١هـ اثناء محاصرته لمراكش . كما وفد عليه أحمد بن قسى زعيم ثوار غرب الأندلس ، كذلك قدم اليه بعد افتتاحه لمراكش وفد من اشبيلية برئاسة القاضى أبى بكر بن العربى يحمل اليه بيعة أهل اشبيلية عقب افتتاح الموحدين لها . وتختلف المصادر فى تحديد تاريخ تدخل الموحدين فى شؤون الأندلس والطريقة التى تم بها هذا التدخل ، فابن أبى زرع يذكر فى روض القرطاس أن هذا التدخل يرجع الى أواخر عام ٥٣٩هـ عقب افتتاح عبد المؤمن بن على لتلمسان ، وذلك عندما أرسل عبد المؤمن الى الأندلس جيشا عدته عشرة آلاف فارس بقيادة الشيخ أبى عمران موسى بن سعيد ، وقد نزل هذا الجيش بساحل الجزيرة الخضراء ، فكانت أول مدينة يفتتحها هذا الجيش مدينة شريش ، حيث خرج صاحبها أبو الغمر بن عزون وأعلن طاعته ، ولذلك سمى أهلها بالسابقين الأولين ، ويحدد ابن أبى زرع تاريخ افتتاح الموحدين لها بشهر ذى الحجة سنة ٥٣٩هـ (ابن أبى زرع ، الروض القرطاس ، ص ١٢٢) .

أما ابن الأبار (فى الحلة السيرة ، ص ٢٠٠) وابن خلدون (فى كتاب العبر ، ج ٦ ص ٢٣٣) فيذكران أن أول تدخل للموحدين فى الأندلس حدث فى أواخر عام ٥٤٠هـ ، وأن أول جيش للموحدين جاز الى الأندلس فى سنة ٥٤١هـ ، وذلك عندما وفد على بن عيسى بن ميمون قائد أسطول المرابطين فى قادس على عبد المؤمن بن على وهو يعسكر بقواته تحت أسوار فاس سنة ٥٤٠هـ ، وهناك أعلن طاعته له ، ثم عاد الى الأندلس حيث أقام الخطبة للموحدين بجامع قادس (ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ، ص ٣٤) . وبذلك يسجل عام ٥٤٠هـ بداية للتدخل الموحدى فى الأندلس ، فى حين تسجل سنة ٥٤١هـ أول تدخل عسكري لهم عندما سير عبد المؤمن جيشا الى الأندلس بقيادة براز بن محمد المسوفى ، شارك فيه ابن قسى ، وقد افتتح هذا الجيش مدينة طريف والجزيرة الخضراء ، ثم اتجه الى شلب لينتزعها من يد ابن وزير ويردها الى ابن قسى . ثم أمد عبد المؤمن هذا الجيش بجيش آخر بقيادة موسى بن سعيد ، ثم بجيش ثالث بقيادة عمر بن صالح الصنهاجى (ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٠٧ - سمر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسى لبطلينوس الاسلامية ، رسالة ماجستير ، ص ٥٣٢ - ٥٣٤) .

وبعد أن أتم الموحدون السيطرة على كل من الجزيرة الخضراء =

مصرعه على يديه (٦٨) وبمصرع على بن ميمون تنتهى سلسلة رؤساء

= وشريش ولبله ومرتلله وشلب وباجه وبطليلوس ، تقدموا الى اشبيلية وطلباطة وحصن القصر ، وأحكموا الحصار حول اشبيلية برا وبحرا ، فقد حاصرتها من البحر سفن أسطول الأندلس بقيادة على بن عيسى بن ميمون صاحب قادس ، كما سبق أن أشرنا ، ولم يطل أمد حصار اشبيلية اذ سرعان ما سقطت فى أيدي الموحدين سنة ٥٤٢هـ ، ووليها من قبلهم عبد العزيز وعيسى أخوا المهدي ، ولكنهما أساءا السيرة فى اشبيلية وطغيا واستبدا بالاهالى ، فثار عليهما الناس ، وناهضهما يوسف البطروجى صاحب لبله ، وأخرج الموحدين منها ، وتحالف مع بقايا المرابطين ، وكذلك فعل أهل طلياطة وحصن القصر . ثم خرج ابن قسى صاحب شلب على الموحدين ، وتابعه فى ذلك ابن ميمون صاحب قادس ، وابن الحجام صاحب بطليوس ، وذلك فى نفس الوقت الذى اشتعلت فيه ثورة الماسى ضد الموحدين فى المغرب سنة ٥٤٢هـ . وانتهر يحيى ابن غانية هذه الفرصة وانتزع الجزيرة الخضراء من أيدي الموحدين . فلما علم أهل سبتة ذلك أقدموا برئاسة القاضى عياض السبتى على خلع الطاعة للموحدين ، وقتلوا واليها يوسف بن مخلوف التتملى ومن معه من عسكر الموحدين ، وتولى أمرها يحيى بن أبى بكر الصحراوى الثائر على الموحدين (وهو نفسه الذى سيتولى قتل على بن عيسى بن ميمون بعد أن يعود الى طاعة الموحدين للمرة الثانية) . وفى هذه الاثناء كان الموحدون بمساعدة ابن عزون قد حاصروا الجزيرة الخضراء ، واستولوا عليها ، وأخرجوا من فيها من المرابطين . وعندما بلغ عبد المؤمن ذلك سار جيشا بقيادة يوسف بن سليمان وبراى المسوفى الى لبله ، وتمكنا من القضاء على ثورة البطروجى هناك . ثم أخضع هذا الجيش الموحدى طلياطة وحصن القصر وطبيرة ، وعلى أثر ذلك أعلن على بن عيسى بن ميمون صاحب قادس عودته للطاعة ، وحذا حذوه سائر ثوار الأندلس .

(٦٨) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الخاص بعصر الموحدين ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ويصف البيذق مصرع على بن عيسى بن ميمون بقوله : (وجاء الصحراوى من ذلك البر بعد هروبه ، أرسل وراءه أهل سبتة ، فجاءهم ، ثم جاء على بن عيسى الموحد صاحب البحر بالقطائع ، وحصرهم فى سبتة ، فخرج اليه الصحراوى من المدينة ، وقال له : أريد أن يكون توحيدى على يدك يا أبا الحسن . قال له : نعم . وكان يساره حتى أنسه ، فقال له : أحملك الى الخليفة ثم رجع الصحراوى الى المدينة ، وعاد على بن عيسى أيضا الى =

البحر من بنى ميمون ، رؤساء جزيرة قادس في عهد المرابطيين وبداية
عصر الموحدين (٦٩) .

= القطائع . فلما كان غدا خرج يحيى أيضا ، وأشار عليه على بن
عيسى ، فجاءه يحيى ، فهبط على من الغراب وأراد الجلوس
معه ، فرأى في وجه يحيى الغدر ، وأراد أن يرجع الى الغراب ،
فرمى عليه يحيى حصاته ، فضربه بالنصل بين الكتفين حتى
نفذه ، وأخذته غلام الصحراوي فجره الى سبتة ، فأخذه
الصحراوي ، وصلبه في برج المدينة (الببذق ، أخبار المهدي بن
تومرت ، ص ١٢٣) . أما يحيى بن أبى بكر الصحراوي المعروف
أيضا بأبن الصحراوية ، فقد ظهر ولمع اسمه عند خروج أهل سبتة
عن طاعة الموحدين ، ذلك أن القاضي عياض قاضى سبتة ، وكان
من أعظم فقهاء عصره وأنزههم ، كان قد نقل الى قضاء غرناطة
(سنة ٥٣١هـ) ثم أعيد بعد ذلك الى قضاء سبتة (سنة ٥٣٩هـ) .
وفي أواخر عام ٥٤٠هـ بادر القاضي عياض بالدخول في طاعة
الموحدين ، وسار الى لقاء عن المؤمن بن على في سلا . وعلى الرغم
من توحيده الا أنه غدر بالموحدين وأعلن تمرده عليهم بعد فترة
وجيزة ، فأخذ يحرض أهالي سبتة على واليها الموحدى يوسف
بن مخلوف التتملى (ابن عذارى ، البيان ، القسم الموحدى ص
٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣) فثاروا عابه وقتلوه . وعلى أثر ذلك جاز القاضي
عياض الى الأندلس حيث التقى يحيى بن غانية ممثل المرابطيين
في الأندلس وطلب منه أن يرسل اليه واليالسبتة موال للمرابطين .
فأرسل ابن غانية يحيى بن أبى بكر الصحراوي معه . وفي نفس
الوقت استنجدت قبيلة برغواطة بأبن الصحراوي ليساعدها في
محاربة قوات عبد المؤمن . فخرج من سبتة لمعاونتهم . وتختلف
الروايات بشأن ما تلى ذلك من أحداث ، وأن كنا نميل الى الأخذ
برواية الببذق ، وتشير هذه الرواية الى أن على بن عيسى بن ميمون
حاصر ابن الصحراوي بسبته عقب نزوله بها ، وذلك بعد أن عاد
الى موالاة الموحدين ، فخدعه ابن الصحراوي وأوهمه أنه يتمنى
لو يكون توحيده على يدى ابن ميمون (الببذق ، أخبار المهدي ،
ص ١٢٢) . وفي اليوم التالى هجم ابن الصحراوي على ابن
ميمون وقتله وصلب جثته على برج من أبراج المدينة . ثم غادر
الصحراوي سبتة بعد ذلك الى طنجة (الببذق ، المصدر السابق ،
ص ١٢٣ ، وأنظر أيضا ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم
الموحدى ، ص ٣٢ ، ٣٣) .

(٦٩) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ (طبعة د . على عبد
الواحد وافي) ص ٦٣١ .

ونستطيع أن نؤكد من خلال استقراءنا للنصوص التاريخية بأن قادس استرجعت في ظل الموحدين أهميتها العسكرية بفضل قاعدتها البحرية ، كذلك انتعشت اقتصادياتها نتيجة لتوفر وسائل النقل البحري . ويؤكد ذلك أن سفن كل من أسطولى سبتة واشبيلية تجمعت بجزيرة قادس في عام ٥٧٧هـ ، وخرجت من هناك تجاه شلب ، ويعبر ابن عذارى عن ذلك بقوله : « وفي هذه السنة (٥٧٧هـ) كانت وقعة أيضا على النصراني في البحر ، وذلك أن قائد سبتة عبد الله بن جامع ، وهو المولى عليها حين أسر غانم بن مردنيش ، خرج منها بالأسطول ، وخرج القائد أبو العباس الصقلي من اشبيلية بأساطيلها ، واجتمعوا جميعا بجزيرة قادس وقد استكملوا أربعين قطعة ، فنهضوا منها بجمعهم الى جهة شلب ، فالتقوا بأسطول أهل اشبونة بالموضع الذي أسر فيه غانم ابن مردنيش في البحر ، وعكس فيه في المنتصف من محرم من العام الفارط ، فالتقوا الآن في الخامس عشر من محرم أيضا ، وهذا من أغرب الأشياء ، فنصر الله المسلمين في هذا اليوم نصرا مؤزرا ، وقتل من النصراني كثيرا ، وأسر منهم نحو الألف وثمانى مائة ، ولم يمت فيه من المسلمين الا رجل واحد ، وأخذت لهم من القطائع نحو العشرين مع أسلابهم وأسلحتهم ، واقتسموا الغنيمة من الأسرى وغيرهم ، وانصرفوا ظاهرين ظافرين الى موضعهم ، وبادر القائدان المذكوران ابن جامع والصقلي بغنيمتهما من الأسرى الى أمير المؤمنين ، فأعطى منهم البعض في فداء غانم بن مردنيش ، وضربت أعناق الباقيين » (٧٠) .

(٧٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٤٥ جاءت هذه الحملة البحرية الموحدية ردا على سلسلة من الاعتداءات البحرية البرتغالية ، ففي عام ٥٧٥هـ ازدادت حدة الاعتداءات البرتغالية على السواحل الغربية للأندلس الأمر الذي دفع خليفة الموحدين (أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن) بأن يأمر قائد البحر غانم بن مردنيش بن أبى عبد الله محمد بن سعد أمير بلنسية وشرق الأندلس بأن يغزو مدينة أشبونة ، فتغلب غانم في هذه =

وفي العام التالي (٥٧٨هـ) أغار البرتغاليون من شنترين والأشبونه على قرية شلوقة من أراضى الشرف (٧١) وعلى حصن القصر باقليم قادس . وبعد ذلك بأعوام يذكر ابن عذارى أن سيلا جارقا بنهر الوادى الكبير اجتاح قرى وضياح الأندلس من مدينة قرطبة حتى جزيرة قادس، وتسبب هذا السيل فى أحداث كثير من الأضرار والخسائر وخرب مناطق واسعة من الأراضى المجاورة ، ولانعرف على وجه الدقة الى أى مدى تآثر عمران مدينة قادس بهذا السيل (٧٣) .

= الغزوة على قطعتين بحريتين برتغاليتين ، وعاد بهما مظفرا الى سبتة ، فرد البرتغاليون على هذه الحملة البحرية الموحدية بالاغارة على جزيرة شلطيش Saltés . وفى العام التالى (٥٧٦هـ) واصل غانم بن مردنيش هجماته البحرية على سواحل البرتغال ، وأقلع معه هذه المرة أخوه أبو العلا فنزلا بقواتهما البحرية فى ميناء سان مرتين دى بورتو San Martin do Porto وبعد أن توغلا فى الأراضى البرتغالية عزموا على فتح بلدة بورتو دى موس Porto do Mos ، ولكن أمير البحر البرتغالى فواس روبنهو Fuas Roupinho أوقع بالمسلمين هزيمة نكراء وأسر قائدهم غانم وأخاه أبا العلا . وتحاليل غانم من معتقله إبلاغ الخليفة الموحدى بأمره ، فأمر الخليفة أبا القمر هلال بن مردنيش بأن يبحر بأسطول الموحدين لاستنقاذ أخويه . وتذكر المصادر البرتغالية أن انتصار روبنهو شجعه على الاغارة على السواحل الغربية للأندلس وكذلك على ساحل مدينة سبتة . ولو صح هذا الخبر فمن الأرجح أن تكون قادس قد تعرضت هى الأخرى للعدوان البرتغالى .

ثم كان خروج الأسطول الموحدى سنة ٥٧٧هـ بقيادة عبد الله بن جامع ردا على الغارات البرتغالية التى أشرنا إليها .

(أرجع الى ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٤٣ - ١٤٥ ،

Huici Miranda, Historia Política del Emperio almohade, t.I, Tetuan, 1927, P. 219 -

أحمد مختار العبادى ، البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ، ص ٢٦٥ - ٢٦٧) .

(٧١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الموحدى ، ص ١٤٥

(٧٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

وكانت الاعوام الاخيرة من عصر الموحدين نكبة على جزيرة قادس فقد دخلت قادس في فلك دولة ابن هود (أبو عبد الله محمد بن يوسف) مؤسس امارة مرسية في عام ٦٢٦هـ (١٢٢٨م) والذي كان يسعى الى لم شعث الأندلس وتوحيدها لمواجهة خطر الاسترداد الاسباني الوشيك .

أما محمد بن الأحمر مؤسس اسرة بنى نصر في غرناطة ، فقد بايع ملك أرغون في عام ٦٢٩هـ (١٢٣١م) (٧٣) ، واستولى على جيان وقرطبة وقرمونة في عام ٦٣٠هـ (١٢٧٢م) (٧٤) ، وبياسة ووادي آش وغرناطة ومالقة في عام ٦٣٧هـ (٧٥) (١٢٣٩م) .

وأثار انضمام أهل قادس لابن هود وخروجهم بذلك على الموحدين ، غضبهم فأمروا في سنة ٦٣١هـ عساكرهم المرتزقة من العناصر المسيحية بتأديب أهالي قادس بشدة بالغة انتقاما منهم لخروجهم عليهم . ولهذا السبب قام غنصله Gonzalo شقيق شانجة رئيس طائفة النصارى المرتزقة في جيش الموحدين بالاغارة على مدينة قادس ، أثناء عبوره من الأندلس الى حاضره الموحدين في المغرب . فاجتاح النصارى المرتزقة المدينة ، وخربوا مبانيها ، وقتلوا عددا كبيرا من أهلها ، واسروا عددا لاحصر له منهم اقتادوهم الى رباط آسفى ، وهناك قام أهالي الرباط بفداء أسرى جزيرة قادس المسلمين . وفي ذلك يقول ابن عذارى : « وفي هذه السنة وصل الزعيم غنصله أخو شانجه بعد فتكة فتكها عند جزيرة قادس ، وأسر جميع من فيها بعد قتل ذريع لأهلها ، وذلك أنه لما استقل من بلاده ، اجتاز على جزيرة قادس ، وأعمل الحيلة في الايقاع بأهلها والغدر بهم ، فأمكنه الحال من كمال مكره ، وتمام

(٧٣) ابن عذارى ، نفس المصدر ص ٢٩٦

(٧٤) نفسه ، ص ٢٩٦ .

(٧٥) نفسه ، ص ٣٥٦ .

غدره ، فغدر الجزيرة ومن فيها من المسلمين ، واستباح كل من بها ، واستاق من أهلها جماعة الى رباط آسفى ، وانتدب المسلمون لافتكاكهم بالفداء ، فلم يبق بأيدي الروم أحد من المسلمين . وهذه الفتكة الشنعاء كانت سببا لخراب جزيرة قادس حتى لم يبق لها رسم ، واستمر خلاؤها الى حين تملك النصارى مدينة اشبيلية وسائر بلاد الأندلس الا اقلها ، فملكوا قادس وغيرها » (٧٦) .

واستمرت قادس اسلامية رغم ما حل بها من الخراب الشنيع والتدمير الشامل ، الى أن استولى القشتاليون عليها فى سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م) على الأرجح . والواقع أن قادس عاشت ظروفًا مضطربة للغاية منذ عام ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) وهو العام الذى سقطت فيه اشبيلية فى يد فرناندو الثالث . وتختلف المصادر فى تحديد تاريخ سقوط قادس فى ايدي القشتاليين بحيث يتعذر علينا أن نقطع بتاريخ ثابت لهذه الحادثة . فابن عذارى كما سبق أن ذكرنا يؤكد أن قادس وكثير من مدن الأندلس لم تسقط فى ايدي العدو الا بعد أن تملك اشبيلية أى بعد عام ٦٤٦هـ (٧٧) ، ولكنه لم يحدد تاريخا معينًا لسقوطها ، كذلك فعل ابن أبى زرع . أما المصادر المسيحية فتختلف فى تحديد هذا التاريخ ، فمنها ما يذكر أن سقوط شلوقة وقادس والقلعة وشذونة وشريش وروطه والبريجه وأركش على التوالي تم فى عام ٦٤٧هـ (١٢٤٩) (٧٨) ، ومنها ما يذكر أن هذه الحادثة وقعت سنة ٦٦٠هـ (١٢٦٢م) (٧٩) ، ومنها ما يذكر

(٧٦) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، ص ٣٠٧ .

(٧٧) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٧٨) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٤٨٨ نقلا عن

Antonio Ballesteros Bretta, la toma de Salé

Cronica General de España, t. II, p. 770.

وانظر

(٧٩) محمد عبد الله عنان ، نفس المرجع ، ص ٤٨٩ وأنظر ايضا :

Agustin de Horozco, Historia de la ciudad de Cadiz, Cadiz, 1845,

P. 98.

أن فرناندو الثالث افتتحها بعد استيلائه على اشبيلية بسنتين أى فى سنة ١٢٥٠ (٨٠) . ولكى نناقش ذلك لابد أن نوضح أن قانس بدأت تتعرض لسلسلة من الاعتداءات المسيحية منذ اليوم الذى تعرضت فيه قبل ذلك لعيث المرتزقة النصارى الذين كانوا فى خدمة الموحدين كما سبق أن ذكرنا ، وأبرز هذه الاعتداءات وأكثرها اثرا على بطليوس ذلك العدوان الذى أشار اليه ابن أبى زرع فى حوادث سنة ٦٤٢هـ (١٢٤٤م) ، فقد ذكر أن قانس تعرضت لغارة شديدة العنف حولت هذه المدينة الى أرض خالية من السكان (٨١) . وعلى الرغم مما أصاب قانس من نكبات ، فقد حاول واليها القائد أبو عبد الله الرنداجى أن يأخذ بيدها ، ويصلح ما أفسده المغيرون عليها ، ويعيد بناء ما تخرّب من مبانيها .

ثم تعرضت عقب سقوط اشبيلية فى سنة ٦٤٦هـ فى أيدي القشتاليين لهجوم قشتالى عات أسفر عن استيلاء القشتاليين على قصبتها سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) . ولكن السيادة القشتالية عليها كانت موقوتة ، وأغلب الظن أن واليها القائد الرنداجى ، وكان أيضا فى نفس الوقت قائد الأسطول، نجح فى استردادها من أيدي القشتاليين بعد أن قتل ثمانين من قادة الجيش القشتالى ، وفى ذلك يقول ابن أبى زرع : «وفيه (أى فى سنة ٦٤٧هـ) قتل القائد الرنداجى ثمانين من زعماء الروم بجزيرة قانس » (٨٢) .

ويبدو أن المصادر المسيحية التى ذكرت أن قانس وشريش وأركش وروطة قد سقطت فى سنة ٦٤٧هـ عقب سقوط اشبيلية فى أيدي القشتاليين (٨٣) كانت تقصد تلك المحاولات المسيحية للسيطرة على

Crónica de los Reyes de Castilla, ed. Joffre de Loayza, Murcia, (٠٧) 1982, P. 73.

(٨١) يقول ابن أبى زرع : «وفيه (أى فى سنة ٦٤٢هـ) دخلت مدينة قانس بالسيف فنهبوا وبقيت خالية ، فبناها القائد أبو عبد الله الرنداجى » (الذخيرة السنية ، ص ٦٦) .
 (٨٢) ابن أبى زرع ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .
 =

قصاب تلك المدن ، فاستيلاء القشتاليين على قسبة قانس يشبه الى حد كبير استيلائهم على قسبة شريش . ويبدو أن صاحب شريش أعلن بعد سقوط اشبيلية سنة ٦٤٦هـ خضوعه لفرناندو الثالث ملك قشتاله ، وتعهد له سنة ٦٤٨هـ بدفع اتاوة سنوية ، وتنازل له عن بعض الحصون الاسلامية التابعة له مثل أركش وفريش . يقول ابن أبى زرع : « وفيها (٦٤٨هـ) أعطى الوزير أبو خالد صاحب شريش للفنش (يقصد لالفونسو العاشر العالم) مدينة أركوش وحصن فريس وحصن تنكر والأقواس . . . وفيها ملك العدو قرمونة والقلعة والقلية وشلوقه وغيلانه وروطة وجميع حصون الوادى وحصن الفرّج » (٨٤) .

ولكن تنازل صاحب شريش عن مدينة أركش وعدد من حصونه لم يسر على قسبة شريش وأركش وغيرها ، فقد ظلت القسبة في هذه المدن صامدة ، ولم تسقط قسبة شريش الا في عام ٦٥٩هـ (١٢٦٠م) على حد قول كل من ابن عذارى وابن أبى زرع (٨٥) .

ورغم سقوط قسبة شريش الا أن اليأس لم يستول على قلوب أهل المدينة ، فأخذوا يوحدون صفوفهم لمواجهة العدو القشتالى المتمركز في قصر شريش . وتمكن أهل شريش بمعاونة قوة من جيش بنى مرين عدتها ٣٠٠ فارس عبرت من المغرب الى الأندلس سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٣م)

= (٨٣) Aguado Bleye., Manual و انظر أيضا
Cronica General de España, . II, P. 770,
de Historia de España, t. I, Madrid, 1947, p. 676 - Torres Balbas,
la Mezquita de al - Qanatir y el Santuario de Alfonso el Sabio
en el Puerto de Santa Maria, al - Andalus, vol. VII, 1942, p. 154.

(٨٤) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٧٩ .
(٨٥) ابن عذارى ، البيان ، ص ٣٦٧ - ابن أبى زرع المصدر السابق ، ص ٩٦ .

بقيادة الأمير أبى عبد الله محمد بن ادريس وأخيه عامر من اخراج القشتاليين من شريش ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : «وأخرج أهل شريش من كان معهم فى القصة ساكنين ، فقد كانوا سكنوا بها نحو من أربع سنين ، وضبطوا مدينتهم وقصبتهم بقية هذه السنة فكانوا بها هادنين » (٨٦) .

وواصل أهل شريش سيطرتهم على مدينتهم الى أن تغلب عليهم القشتاليون بعدما يقرب من عامين ، فى سنة ٦٦٥ هـ (٢٦٦م) وأخرجوهم من المدينة (٨٧) .

وتتشابه الظروف التى أسفرت عن سقوط شريش فى أيدي القشتاليين الى حد كبير مع ظروف سقوط قادس ، فالمد والجزر الأسباني على هذه المدن أو تتابع السيادة الإسلامية والمسيحية عليها الى أن تحسم إحدى القوتين الغلبة فى نهاية الأمر يتمثل بصورة واضحة عند دراستنا لنهاية قادس الإسلامية . فبعد أن تمكن القشتاليون من الاستيلاء على قصبة قادس على أثر سقوط اشبيلية فى عام ٦٤٦ هـ ، نجح القائد الرنداجى فى استرداد القصبة ، وقتل ثمانين من زعماء القشتاليين بها ، واستمرت قادس فى حوزة المسلمين الى أن سقطت نهائيا فى أيدي القشتاليين .

ويرى الأستاذ محمد عبد الله عنان أن سقوط قادس النهائى فى أيدي القشتاليين وقع فى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١م) إذ افتتحوا فى نفس هذا

(٨٦) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ وأنظر أيضا نفس المصدر ص ١٠٠ ، ١٠١

(٨٧) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ١١٢ . ويذكر Aguado Bleye أن الفونسو العاشر أسترجع قادس سنة ١٢٦٣م كما أسترجع شريش فى يوليو ١٢٦٣م بعد حصار دام خمسة شهور (Aguado Bleye, op. cit. p. 684)

العام شذونة والبريجة وغيرهما من قواعد الفرنتيرة (٨٨) ، وبالبحث في المصادر الاسلامية المختلفة لم نجد ما يؤكد ذلك الراى . ولكن اذا رجعنا الى الذخيرة السنية والبيان المغرب فاننا نجد ان كلا من المصدرين يتضمن خبرا هاما يفيدنا في تحديد العام الذى سقطت فيه قادس . يقول ابن ابي زرع في اخبار سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥م) ان القائد محمد الرنداجى قتل بوادى اشبيلية (٨٩) . وفي اخبار سنة ٦٥٨ هـ (١٢٥٩م) يذكر ابن عذارى ان العدو المسيحى الذى كان قد نزل بجزيرة قادس اراد ان يغير على اراضى الاسلام ، وكانت الاقوال تختلف في اى موضع يقصد ، وتبين فيما بعد ان وجهته كانت سلا ، وقد انهزم العدو في النهاية وفر قائد الحملة « في ثلاثة قراقر الى الاشبونة ، فبقى مقيما بها ، ولم يرجع الى قادس حيث كانت تتجهز الاجفان المذكورة الا نحو خمسة وعشرين جفنا وسائرهما تفرق اى تفريق وتمزق شمله خوفا من الطاغية اهلكه الله اى تمزيق » (٩٠) .

وقد اورد ابن ابي زرع هو الآخر اخبار غدر الروم بمدينة سلا (٩١) . ونستدل من هذا الخبر الأخير على ان قادس كانت قد سقطت نهائيا في ايدى القشتاليين في ذلك العام ٦٥٨ هـ بدليل انهم اتخذوا منها قاعدة بحرية لهم ولسفنههم ، ينطلقون منها لغزو اراضى المسلمين ، وكانت من بين هذه المدن سلا .

وقد حاولنا ان نربط بين الخبر الاول الذى يشير الى مقتل الرنداجى سنة ٦٥٣ هـ بوادى اشبيلية وبين هذا الخبر الأخير ، وتوصلنا الى ان القشتاليين حاولوا في سنة ٦٥٣ هـ السيطرة على قادس ، واخراج

(٨٨) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٤٨٩ .
 (٨٩) ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٨١ .
 (٩٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ص ٤٢٢ .
 (٩١) ابن ابي زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٩٣ .

المسلمين منها ، وان أهلها وجنودها بقيادة الرنداجى تصدوا لهم بكل ما يملكونه من قوة ، ولكن القشتاليين تغلبوا فى النهاية ، وانتهى الأمر بمصرع القائد الرنداجى واستسلام قادس وخضوعها نهائيا للسيادة القشتالية . وعلى الرغم من ذلك فلا يمكننا أن نحدد تاريخا ثابتا لسقوط قادس ، غير أن الضرورة التاريخية تحتم أن يقع ذلك الحادث فيما بين عام ٦٥٣هـ وهو العام الذى قتل فيه الرنداجى ، وعام ٦٥٨هـ الذى تحولت فيه قادس من قاعدة بحرية اسلامية الى قاعدة بحرية مسيحية اسبانية ، و مركزا لشن الغارات على الاراضى الاسلامية (٩٢) .

(٩٢) من بين مؤرخى اسبانيا المسيحية يرى اوغسطين دى اورثكو فى كتابه الذى صنفه فى سنة ١٥٩٥م أن القشتاليين استولوا على قادس فى سنة ١٢٦٢م (انظر A. de Orozco, Historia de la ciudad de Cadiz, Cadiz, 1845, p. 98).

ويأخذ بهذا التاريخ أيضا من المؤرخين الاسبان الحديثين انطونيو بيستيروس بريتا ، فى بحثه :

Antonio Ballesteros Brieta, La toma de Salé en tiempo de Alfonso X el Sabio, al - Andalus, vol. VIII, 1943, p. 97.

الفصل الرابع

ملامح حضارية لقادس الاسلامية

(١) الحياة الاقتصادية

(٢) الحياة العلمية

(٣) الآثار الاسلامية الباقية

الفصل الرابع

ملاحح حضارية لقادس الاسلامية

(١)

الحياة الاقتصادية

يواجه الباحث في الاوضاع الاقتصادية لقادس في العصر الاسلامى صعوبات جمة مصدرها أن قادس كانت جزيرة صغيرة تواجه الساحل الجنوبى من الأندلس ولا ترتبط بهذا الساحل الا عن طريق قنطرة تزود الجزيرة بالمياه العذبة ، وكانت هذه الجزيرة بحكم موقعها الاستراتيجى الهام عرضه للاعتداءات الخارجية سواء من النورمنديين أو من قوى المسيحية فى اسبانيا ، الامر الذى أدى الى نفور أهل الأندلس من توطنها والاستقرار بها . ولم ينتج عنها الا فئة من التجار الذين كانوا يشتغلون بالصادر والوارد أو قلة من الاهالى ممن يحترفون بعض الصناعات أو يشتغلون بصيد الأسماك . ولكن قادس بحكم موقعها المتميز كانت من أصلح القواعد البحرية للأندلس ، اذ أن خليجها كان يتسع لتجمع أعداد هائلة من السفن ، ولهذا اتخذها النورمان فترة من الزمن وكرا لهم فى كل مرة يغيرون فيها على سواحل الأندلس الغربية والجنوبية . وعلى الرغم من قلة مازودتنا به المصادر العربية من مادة عن أحوالها الاقتصادية ، فأننا نستطيع أن نلمح من خلال هذه الشذرات المتناثرة هنا وهناك فى هذه المصادر بصيصا من الضوء يعيننا على تقويم حياتها الاقتصادية فى العصر الاسلامى ، ويمكننا أن نستنتج من النصوص الجغرافية أن قادس كانت غنية بمزارعها ، وفسيرة الانتاج فى بعض المحاصيل الزراعية ، فالحميرى ينص فى الروض المعطار على وجود « مزارع كثيرة الريع » فى جزيرة قادس (١) ، كما يذكر أنها كانت

(١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ .

غنية بغاباتها وأشجارها الصنوبرية أو أشجار الرتم ، وفى ذلك يقول :
«وشعراؤها صنوبر ورتم» (٢) . وإلى جانب هذا النوع من النبات
«الرتم» الذى كان يستخدم فى تربية الماعز ، كان يزرع بها نوع غريب
من أنواع الخروب (٣) ، إذا أكلت منه الماعز أسكر لبنها ولا يكون ذلك
فى البان الضان . وكان للرتم نفس تلك الخاصية التى امتاز بها الخروب
فى قادس (٤) .

وبالإضافة الى هذه النباتات الغربية كانت بقادس غابات من
أشجار تشبه النخيل يستقطر منها سائل مطاطى كان يضاف الى الزجاج
ليتماسك ويتحجر ، ومنها كانت تصنع فصوص معينة ، عجائنها مزججة ،
وفى ذلك يقول الحميرى : «وبهذه الجزيرة شجيرة تشبه فسيل النخل
إذا خلط. بالزجاج صبغه وصار حجرا تتخذ منه الفصوص » (٥) .

وقد اشتهرت قادس أيضا بأعنايبها ، إذ كان الكروم أهم ما يزرع
فى بساينها (٦) ، كذلك اشتهرت بطيب توتها (٧) . وكان شجر
المثنان من أهم الأشجار التى تنبت فى جزيرة قادس (٨) . ولكثرة ما كان
يتوفر بقادس من نباتات غريبة ونادرة ، فقد ظهر من أبنائها منذ أقدم
العصور علماء بارزون فى علم النبات والحيشائش ومنهم جونيوس قلماله
القادسى Junius Columella الذى استوحى ابن حجاج الاشبيلي
من كتابه الكثير ، وكان قلماله قد استنبط أفكارا وحقائق هامة فى علم

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٤٨ .

(٣) نفسه ، ص ٤٤٨ .

(٤) نفسه ، وانظر : Pedro Martinez Montavez, op. cit. p. 12, 13.

(٥) الحميرى ، نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د. شوقي ضيف ،

ج ١ ص ٣٠٩ .

(٧) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٦ .

(٨) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ .

النبات من خلال تجاربه الشخصية في اقليم الشرف و اقليم قادس (٩) ، وهذا في حد ذاته ينهض دليلا على عظم الثروة النباتية والزراعية بجزيرة قادس .

ومن المعروف أن جزيرة قادس تتميز بتربتها الرملية السهلة (١٠) ، وفي هذا النوع من التربة وجود من الثمار «شجر التين والرمان والتوت والصنوبر والسفرجل والخوخ والبرقوق والورد» (١١) ، والكثير من أنواع الخضر (١٢) والمقائى والكتان (١٣) .

وكانت تربة جزيرة قادس الرملية تحتاج للسماد شأنها في ذلك شأن كل تربة رملية ، «فلا بد لها من الزبل ، ويكون زبلا مخدوما متمكنا من الحرارة والرطوبة» (١٤) ، واحسن ماتكون عليه تلك التربة الرملية في الاعتدالين (١٥) . ويؤكد ابن بصال أن الارض الرملية بطبيعتها « أرض مأمونة لا يخشى عليها الاحتراق ، وأن أكثر عليها بالزبل ، وهى قريبة المرام في الخدمة ، مأمونة في الغالب من الآفات والجوايح» (١٦) .

والأرض الرملية لا تحتاج في ربيها لكثير من الماء ، وفي ذلك يقول ابن بصال : «وينبغي أن لا يكثر عليها بالماء لان الماء يغيب داخلها وربما ظن بها انها لم ترو وهى قد أخذت فوق حقها لان غيرها من الأرضين

(٩) Rachel Arié, España musulmana, siglos VIII - XV, Barcelona, 1982, P. 221.

- (١٠) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ٦٥ .
- (١١) ابن بصال ، كتاب الفلاحة ، نشره خوسيه ماريه مياس ببيكروسا ومحمد عزيمان ، المغرب ١٩٥٥ ، ص ٤٤ .
- (١٢) ابن بصال ، المصدر السابق ، ص ٤٤
- (١٣) نفس المصدر ، ص ٤٤
- (١٤) نفسه ، ص ٤٣
- (١٥) نفسه ، ص ٤٣ ، ٤٤
- (١٦) نفسه ، ص ٤٤

يجرى عليها من الماء الشئ اليسير ، ويبقى على وجهها ، ويظن بها أنها قد رويت وهى لم تيبس داخلها من الماء الا اليسير ، وينبغى أن تراعى فى سقيها ، وتعطش ، وحينئذ تسقى ولا تمكن من الماء كتمكين غيرها « (١٧) .

وكانت جزيرة قادس تزخر بالآبار العذبة (١٨) ، ولكنها لم تعتمد فى سقيا الأراضى الزراعية على مياه الآبار فحسب ، بل اعتمدت أيضا على مياه نهر وادى لكّة التى كانت تصل إليها عن طريق القناطر أو الأقواس أو جسر المياه كما سبق أن ذكرنا (١٩) ، هذا بالإضافة الى مياه الأمطار التى تسقط بكثرة فى فصل الشتاء .

ومن المعروف أن كورة شذونة بما فى ذلك قادس التى كانت تتبعها كانت تشتهر بوفرة مياهها وكثرة أنهارها وسواقيها وأرعاها التى تدار بقوة دفع المياه (٢٠) .

وفيما يتعلق بالثروة الحيوانية بقادس ، فقد اشتهرت بمراعيها التى يكثر بها الرتم والخروب ، وقد أشرنا الى الآثار الحسنة لهذا الثمر

(١٧) نفسه .

(١٨) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، ص ٦٥ .

(١٩) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٨٩ - مجهول ، المصدر السابق ، ص ٦٥ . وبالإضافة الى الآبار والأنهار اعتاد أهل قادس منذ أقدم العصور استخدام الصهاريج والجباب لاستخدام مياهها العذبة فى الرى (الزهرى ، المصدر السابق ، ص ٩٠ ، ٩٢) .

(٢٠) ابن الكردبوس ، المصدر السابق ص ٣٤ . وقد ربط د. مختار العبادى بين «السواقي» وهو الموضع الذى يحتمل أن تكون المعرحة التى لقي فيها لذريق مصرعه قد دارت به وبين السواقي المستخدمة لرى المزارع . وربما كانت كثرة السواقي والأرعاى فى شذونة سببا فى إطلاق هذا الاسم على الموضع .

على البان الماعز ، فهو يكسبها طعاما طيبا مسكرا (٢١) . كذلك اشتهرت قادس بتربية الضأن (٢٢) . والى جانب هذه الثروة الحيوانية كانت تتوفر بقادس مصايد الاسماك ، فقد عرفت قادس بثروتها السمكية ، وهذا أمر طبيعي لجزيرة قادس التى تحيط بها مياه البحر المحيط ، وتقترب سواحلها من مصب وادى لكة . واشهر انواع السمك فى قادس سمك التن ، ويذكر الزهرى انه كان بقادس فى العصور السابقة على الفتح الاسلامى للاندلس طلسم يجذب سمك التن فى شهر مايه (٢٣) ، كذلك كان يتوفر ببحر شذونة اطيب العنبر الوردى (٢٤) ، وربما كان يقصد بحر شذونة البحر المحيط حيث تطل عليه سواحل كورة شذونة بما فى ذلك جزيرة قادس (٢٥) .

ومن حيث الصناعات فى قادس ، فيمكننا أن نستنتج من خلال المعلومات الشحيحة التى زودتنا بها المصادر الجغرافية عن الانتاج الزراعى بقادس قيام صناعات بسيطة كصناعة الألبان بسبب توافر الماعز والضأن ، وصناعة تجفيف العنب لاستخدامه فى صناعة الحلوى ، وكذلك صناعة النبيذ من الكروم الذى تكثر زراعته فى الجزيرة .

ونستنتج أيضا من وفرة الاشجار الصنوبرية (٢٦) التى كانت تنمو فى قادس قيام صناعة الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، وربما زودت قادس فى اعقاب الغارة النورمندية بدار صناعة شأنها فى ذلك شأن الجزيرة

(٢١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ -

Pedro Martinez, op. cit., p. 13 - Rachel Arié, op. cit., p. 229.

(٢٢) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .

(٢٣) الزهرى ، كتاب الجغرافية ، ص ٩٢ .

(٢٤) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١٢٥ .

(٢٥) Rachel Arié, op. cit., p. 238.

(٢٦) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٤٨ .

الخضراء وميورقة (٣٧) . ومما يؤكد ذلك الاحداث التاريخية التى مرت بها قادس بعد ذلك والتى اكدت ظهور قادس كقاعدة بحرية لاساطيل المرابطين والموحدين ، ومركز لتجمع السفن الاسلامية للجهاد فى سبيل الله ، وقد واصلت قادس اداء هذه الوظيفة حتى بعد سقوطها فى ايدى القشتاليين ، اذ احتفظت بدورها كقاعدة بحرية هامة للمسيحيين ، يغيرون منها على الاراضى الاسلامية المجاورة .

ونرجح ايضا ازدهار صناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والحريية بقادس ، فالصوف كان متوفرا بها لتوافر الماعز والغنم ، اما الكتان فتصلح زراعته فى التربة الرملية التى تتمثل فى تربة قادس ، واما الحرير فأغلب الظن انه كان يصنع فى قادس وذلك لتوسع أهلها فى زراعة شجر التوت الذى كان هرقلس أول من غرسه بقادس وسائر مناطق شبه جزيرة ايبيريا من ملوك اليونان بالآندلس (٢٨) .

ونستنتج من رواية الحميرى أن قادس اقتصت بتلوين الزجاج وصباغته بمادة تستنبط من شجيرة تشبه فسيل النخيل (٣٩) ، ولا نستبعد ان تكون صناعة الزجاج من الصناعات المزدهرة بجزيرة قادس فى العصر الاسلامى .

واهم الصناعات التى اشتهرت بها قادس فى تاريخها الاسلامى صناعة استخراج الملح من الملاحات التى كانت تكثر بسواحلها شأن

(٢٧) يذكر د . حسين مؤنس ان دارا لصناعة الاسطول اقيمت بقادس زمن الامارة دون أن يشير الى المصدر الذى اعتمد عليه فى ذكر هذا الخبر (حسين مؤنس ، رحلة الآندلس) .

(٢٨) مجهول ، ذكر بلاد الآندلس ، ص ٦٦ .

(٢٩) الحميرى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .

معظم المدن الساحلية ، فقد كانت ملاحات جزيرة يابسة والقنت والمرية وقادس توفر من الملح مايكفى حاجة البلاد (٣٠) . ومن الأدلة على شهرة قادس كمصدر رئيسى للملح ، ان القطلان كانوا يبيعون فى القرن الخامس عشر ملح وادى ابره بالمرية ومالقة . وفى سنة ١٤٤٥م كان الجنوبية ينقلون شحنات من ملح قادس الى مالقة (٣١) ، والى جميع انحاء الأندلس (٣٢) .

أما فيما يتعلق بالتجارة ، فإن قادس كانت محطة هامة فى طرق التجارة منذ العصر الرومانى (٣٣) . وكانت المحجة العظمى الطريق الرئيسية التى تربط قادس بغيرها من المدن الكبرى كاشبيلية وقرطبة وطليطلة وسرقسطة وطركونه فأربونة (٣٤) . وتذكر المصادر أن قادس كانت محطة تجارية هامة فى عصر دولة بنى الأحمر أصحاب غرناطة . ومما لاشك فيه ان المكانة التجارية التى اكتسبتها قادس فى ذلك العصر ظلت قائمة طوال العصر الاسلامى ، فعن طريق قادس كان يتم تصدير الحرير الغرناطى الى تجار ايطاليا (٣٥) .

Lévi - Provençal, Histoire, t. III, P. 297 - Rachel Arié, op. cit. p. 237 (٣٠)

Rachel Arié, op. cit., P. 256. (٣١)

Ibid. P. 256. (٣٢)

حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، ص ٢٨٧ (٣٣)

Rachel Arié, op. cit., p. 257. (٣٤)

Ibid. p. 255. (٣٥)

(٢)

الحياة العلمية بقادس

تكاد الحياة العلمية بقادس تكون معدومة ، اذ لم تكن قادس مركزا علميا متألقا مثل قرطبة او اشبيلية او طليطلة او غرناطة ، ومن الواضح ان موقعها المتطرف في اقصى الطرف الجنوبي الغربى من الأندلس قرر مصيرها واثّر تأثيرا مباشرا على دورها كقاعدة بحرية ومأوى للمغامرين من رجال البحر والمرتزقة ، بحيث أصبحت أبعد ماتكون عن المجال العلمى ، بل أن موقعها المتطرف في هذا الركن الجنوبي الغربى من الأندلس عرضها لكوارث عديدة ، فمن غارات نورمندية الى غزوات اسبانية مسيحية متصلة ، الى ثورات داخلية متعاقبة ، ولذلك لم تكن منتجعا للعلماء ، ولا منزلا لطلاب العلم والمعرفة . ومع ذلك فقد كانت عزلتها في ذلك الموقع المتطرف مقصدا للصوفية الذين نذروا حياتهم للجهاد أو للعبادة ، وهذا يفسر أن رابطة روضة القريية منها كانت من أهم الرباطات التى اقيمت على السواحل الجنوبية ، ولانستبعد أن يكون لقادس رابطة مماثلة ، وأن كان ذلك لم يرد له ذكر في المصادر العربية .

ومن المعروف أن ازدهار الحركة العلمية يقتزن دائما بحياة الاستقرار والسلم ، فاذا افتقد الاستقرار وأختل ميزان الامن ، قضى على هذا الازدهار ، ولذلك فان المصادر العربية وكتب التراجم لم تزودنا بأسماء علماء أو فقهاء من أهل جزيرة قادس . وكل ما وصلنا من هؤلاء اسماء أو ثلاثة ، وحتى هذه الأسماء كانت لعلماء هجروا بلدهم قادس ، ونزلوا بمواضع أخرى أكثر تقبلا لمواهبهم ، اولهم شاعر من شعراء الزهد ذكره ابن سعيد في «المغرب فى حلى المغرب» هو عبلّى بن أحمد الكتانى القادسى ، وقال عنه : «لقيته بالقدس على زى الفقراء ، وقد صدر من الحج وانشدنى لنفسه :

ذاك العذار المطل . . . دمی علیه یطل
 کائما الخد ماء . . . وقد جرى فيه ظل
 عقود صبرى علیه . . . مذ حل فيه تحل
 جرت دموى علیه . . . فقلت اسی وطل (٣٦)

وقد ترجم له ابن سعيد في «اختصار القدح المعلى» (٣٧) ، وقال:
 « لم أر في ضيق الخلق مثله ، يكاد يخاصم من ضجره ظله . . . وكان
 اجتماعى به في سنة ثلاثة وأربعين (٦٤٣هـ) ببيت المقدس » . كذلك
 ترجم له المقري في نفح الطيب ترجمة نقلها عن ابن سعيد ، ولم يزد
 شيئا .

ونلاحظ أن هذا العالم ترك قادم إلى بيت المقدس اما رغبة في
 زيارة الاراضى المقدسة أو طلبا للعلم .

أما الاسمان الاخريان فقد وردا في كتاب الصلة لابن بشكوال (٣٨) ،
 أولهما لاحمد بن سعيد بن على الانصارى القناطرى المتوفى في اشبيلية
 سنة ٤٢٨هـ ، والثانى كامل بن أحمد بن يوسف القادسى المتوفى باشبيلية
 سنة ٤٣٠هـ . ونلاحظ أن كليهما هجر بلده إلى اشبيلية طلبا للعلم ،
 وتوفى هناك .

(٣٦) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ص ٣٠٩ .
 (٣٧) ابن سعيد ، اختصار القدح المعلى ، ص ٦٩ .
 (٣٨) ابن بشكوال ، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس ، ج ١ ،
 مدريد ، ١٨٨٣ ، ترجمة ٨٦ ، ١٠٢٠ .

(٣)

الآثار الاسلامية الباقية

بينما ازدهرت قادس في العصر الرومانى الى الحد الذى أصبحت آثار الرومان فيها موضوعا رئيسيا لوصف مؤرخى الأندلس وجغرافيينهم ، ومعالم هامة فى عمران هذه الجزيرة طوال العصور الوسطى ، فانه لم يتبق من منشآت قادس فى العصرين القوطى والاسلامى آثار لها أهميتها ، ويرجع السبب فى ذلك الى أن قادس تعرضت عبر حقبة التاريخ الاسلامى لغزوات متواصلة وثورات متعددة. وحروب أهلية طاحنة ، بل أنها تحولت زمن القوط الغربيين الى قبل الفتح الاسلامى الى مركز عمرانى فقير وأصبحت اقرب الى القرية منها الى المدينة (٣٩) . وعندما استولى عليها الفونسو العاشر ملك قشتالة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٢٦٢م كان عمرانها من التدهور بحيث اضطر الى اعادة بنيان دورها وتعميرها بالسكان ، واقام لها أسوارا قوية زودها بأبراج ضخمة (٤٠) .

وتتميز جزيرة قادس بأنها تضم مركزين عمرانيين مصابين لها أحدهما ميناء سانتا مارييا el Puerto de Santa Maria وهو الاسم الذى أطلقه القشتاليون سنة ١٢٦٠ تمينا بانتصار الفونسو العاشر فى سلا ، ويقع ميناء سانتا مارييا فى شمالها الشرقى ، والثانى سان فرناندو ، ويعتبر جزءا لا يتجزأ من قادس ، ويقع فى جنوبها الشرقى ، ويرتبط معها عن طريق لسان برى ، وكان هذا المركز العمرانى بداية الطريق الرومانى الاعظم المعروف بالمحجة العظمى .

وفيما يلى عرض لبعض الآثار المعمارية القليلة المتبقية فى قادس منذ ما بعد الاسترداد والتي يمكن أن تكون ذات أصول اسلامية .

(٣٩) Enrique Romero de Torres, 'Catálogo monumental, Provincia de Cadiz, Madrid, 1934, p. 249, 283.
Ibid. P. 317.

آثار رابطة روطه :

يحتفظ حصن روطه عند مدخل خليج قادس ببناء يعتبر الوحيد الذى يجمع بين السمة العسكرية والدينية ، وربما أقيم فى نفس الموضع الذى كانت تقوم عليه رابطة روطه التى ذكرها الادريسي ، وزارها محبى الدين بن عربى فى ٥٩٤ هـ (١١٩٧ م) (٤١) .

مسجد القناطر :

يقع الموضع المسمى بالقناطر قبالة جزيرة قادس على الضفة اليمنى من مصب وادى لكه ، وعلى بعد ثمانية أميال من موقع رابطة روطه، وفى منتصف المسافة ما بين شريش وقادس . ويذكر الادريسي أنها «تقابل جزيرة قادس . وبينهما مجاز سبعة أميال ، ومن القناطر تصعد فى النهر الى رابطة روطه ثمانية أميال » (٤٢) . وفى موضع آخر يقول : « ومن شريش الى جزيرة قادس ١٢ ميلا ، فمن شريش الى القناطر ستة أميال ومن القناطر الى جزيرة قادس ستة أميال » (٤٣) .

وورد فى مدونة تاريخ اسبانيا العام لالفونسو العاشر العالم أن فرناندو الثالث بعد استيلائه على اشبيلية فى سنة ١٢٤٨م افتتح شريش وقادس وشنت مريه دل البورتو وروطه ومواضع أخرى فيما بين عامى ١٢٤٨ ، ١٢٥٢م . وتوفى فى هذه السنة . وفيما يلى نص المدونة : « بعد أن ضم الملك دون فرناندو واشبيلية استولى على شريش ومدينة

(٤١) الادريسي ، ص ١٧٧ -

Miguel Asin Palacios, et Islam Cristianizado, Estudio del Sufismo, Madrid, 1931, P. 72.

(٤٢) الادريسي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن ١٦٦٨ ص ١٧٧

(٤٣) الادريسي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

والقلعة وبيار وشنت مريه دل بورتو وقادس التى تقع فى البحر وشلوقه وأركش ونبريشه وروطه « (٤٤) . ومن المعروف أن شنت مريه دل بورتو هو الاسم الذى أطلقه النصارى على قناطر قادس فى سنة ١٢٦٠ وذلك عقب قيام الفونسو العاشر بحملته البحرية المظفرة على سلا (٤٥) . وفى نهاية سنة ١٢٦٤م استعاد الفونسو العاشر شريش وأركش وروطه وشلوقه وشذونة بعد أن كانت قد خرجت عن طاعة القشتاليين . ومن المحتمل أن تكون القناطر من بين المواضع التى استردها الملك القشتالى بدليل أن مدونة تاريخ اسبانيا العام تشير الى أن الملك عمر ميناء سانتا مريه على أثر استعادته لشريش . وكان الفونسو العاشر يقدر أهمية الموقع الاستراتيجى لقرية القناطر ، اذ أنها بوقوعها عند مصب وادى لكه غير بعيد من مصب الوادى الكبير تصلح لأن تكون مرقبا له أهميته لساحل العدو ، فاهتم عندئذ بتعميرها وجعل منها مدينة لها أهميتها ، وأقام فيها كنيسة عرفت بسانتا مريه كانت حصينة البنيان ، أشبه ما تكون بالرباط الاسلامى او الدير المسيحى الحصين . ومنذ ذلك الحين أصبحت مركزا عمرانيا هاما انتجعه عدد كبير من الاسبان مسلمين ونصارى ، بالإضافة الى اقوام قدموا من جنوه وشارتر وغيرهما (٤٦) . واذا رجعنا الى كتاب الأناشيد لالفونسو العاشر لانجد ما يشير الى أن موقع هذه الكنيسة كان يشغله مسجد صغير المساحة . ولكن البحث الأثرى فى بنيان هذه الكنيسة أسفر عن كشف المحراب وجزء هام من جدار القبلة . وتذكر

Cronica General de España, t. II, p. 770

(٤٤)

والنص الاسبانى كما يلى :

«Desde el rey don Fernando ouo ganada Seuilla,
et la ouo poblada ... gano despues : Xerez, Medina, Alcala, Beier
et Sancta Maria del Puerto, et Calez que yace dentro en la mar, et
Salucar d'Alpechyn, et aca Arcos et Lebrixa et Rota)

Torres Balbas, la Mezquita de al Qanatir y el Santuario de Alfonso (٤٥)

el Sabio en el Puerto de Santa Maria, al-Andalus, vol. VII 1942.

Ibid. pp. 157-158.

(٤٦)

الأناشيد أن ثلاثين عاملا كانوا يحفرون في ركن من أركان برج كان قائما ، تمهيدا لوضع أسس الكنيسة ، فأنهار عليهم البرج . ويتساءل توريس بلباس عما اذا كان هذا البرج كان هو نفسه صومعه المسجد (٤٧) . ونستدل من نتائج البحوث الأثرية في الكنيسة أن بيت الصلاة بمسجد القناطر كان يشتمل على ثلاث بلاطات ، وكانت جدرانه مقامة من قطع الحجارة غير المنتظمة ، وكان المحراب يتخذ شكل جوفة مربعة الشكل طول كل ضلع منه ١ر٢٥ مترا . وماتزال ترى في زاويتي الداخليتين تيجان أعمدة من الخزف المزجج عسلية اللون وقمعية الشكل ، تزدان في أعلاها بعقود متجاوزة لنصف الدائرة ، ومن أدنى بصفين من أوراق الأكنش . كذلك اكتشفت آثار سوارى من نفس المادة . هذا وقد تم الكشف أيضا عن آثار تدل على أن جدار المحراب كان مكسوا بلوحات رخامية ، وكانت تعلو جوفة المحراب على ارتفاع كاف قبوة نصف كروية تتشعب في أركان قاعدتها ضلوع بارزة تتقاطع فيما بينها . وتشبه هذه القبوة نظيرتها بكنيسة سان ميان دى لاجوجيا المستعربة

San Millan de la Cogolla (٤٨) (١٩٨٤م) ، وأحدى قبوات مسجد الباب المردوم وقبوة مسجد الدباغين بطليطلة . أما عقد المحراب فمتجاوز لنصف الدائرة ، ومركزي التنسيج ، ويبدو أنه كان محاطا بإفريز بارز مستطيل الشكل . وكان يفتح في جدار القبلة على يمين المحراب ويساره وعلى مسافة تبعد نحو متر واحد من عضادتيه بابان ، اتساع كل منهما ٧٤ر٠ مترا ، أحدهما مسدود والثانى كان يسده جدار برج ضخم . وواضح أن نظام هذا المحراب يماثل نظام المحراب في الزيادة الحكيمة بجامع قرطبة وفي المسجد الجامع بالمرية والمساجد الجامعة بتلمسان والجزائر وتمنال والكتيبة بمراكش ورباط تازى ورباط القفح والمنصورة (٤٨) .

Leopoldo Torres Balbas, op. cit. p. 159.

(٤٧)

Moreno (Manuel Gomez), Iglesias Mozarabes, Madrid, 1919.

(٤٨)

ومن الثابت أن نظام المحراب في هذا المسجد بالفتحتين اللتين تكتنفان جوفه المحراب وبقبوته ذات الاشرطة البارزة المتقاطعة ، يؤكد انه انشئ في القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) (٤٩) .

ومن المعتقد أن هذا المسجد تعرض للتخريب بسبب غارات المرينيين على القناطر ، فقد ذكر صاحب روض القرطاس أن أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو المرينى غزا في ربيع الثانى سنة ٦٧٦ (سبتمبر ١٢٧٧م) غرب الأندلس مخربا كل ما كانت تقابله قواته من عمران ، فهدمت القرى ودمرت الأبراج ، وانتسفت الزروع ، وغنم ولده الأسعد أبو يعقوب حصن روضة وشلوقه وغليناه والقناطير (٥٠) . وفى جوازه الرابع الى الأندلس فى صفر سنة ٦٨٤هـ نزلت قواته على مدينة شريش وهاجمت أحواضها وانتسفت الزروع ، وقطعت الثمار ، وخربت القرى ، وأغاروا على حصن شلوقه وحصن روضة (٥١) . وفى ٢١ من ربيع الأول من نفس السنة أغارت القوات المرينية على حصن القناطير واقتحمت ربهضه ودخلته بالسيف «وأضرموا فيه النيران ، وقتلوا الرجال ، وسبوا النساء والذرية ، وغنموا جميع ماوجدوا به من البقر والغنم والدواب » (٥٢) .

قنطرة قادس :

هناك رقاق مائى ضيق يفصل أرض الأندلس عن جزيرة صغيرة فى

Torres Balbas, op. cit pp. 161, 162. (٤٩)

G. Marçais, L'Architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954, pp. 129 - 130.

وانظر : السيد عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة بالأندلس ج ١ ص ٣٤٥ .

(٥٠) ابن أبى زرع ، الروض القرطاس ، ص ٢١٩ .

(٥١) ابن أبى زرع ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٥٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٨ .

البحر المحيط قبالة البرهى جزيرة قادس ، يمتد في طرفها الغربى مدينة قادس القديمة . ومن المعتقد أنه كانت تقوم فوق هذا الزقاق في عصر الامبراطورية الرومانية قنطرة لعلها كانت معبرا للطريق الرومانى الأعظم الذى كان يخترق شبه جزيرة إيبيريا من اقصى الجنوب الغربى الى اقصى الشمال الشرقى الى أن يصل الى أربونه . وكانت هذه القنطرة وقت تغلب الفونسو العاشر على المسلمين فى سنة ١٢٦٢م مخربة الأمر الذى دفعه الى اصلاحها .

ونستدل من وثائق الهبات التى أصدرها الفونسو العاشر سنة ١٢٦٨ وسانشو الرابع سنة ١٢٨٤ ، والفونسو الحادى عشر سنة ١٣٢٨ على أنه كان يوجد حصن يحمى القنطرة ومنية تقع فى طرف الحصن كانت تعرف باسم منية ريحانة (٥٣) .

وكان القسم الغربى من جزيرة قادس يعرف منذ سنة ١٤٧٠م باسم جزيرة ليون نسبة الى دون رودريجو بونثى دى ليون Don Rodrigo Ponce de Leon مركيز قادس الذى أصبح مالكا لهذه المدينة بعد أن أهداها له الملك انريكى الرابع فى سنة ١٤٧٠م (٥٤) .

ويصف أورثكو Horozco بنيان القنطرة فى سنة ١٥٩٥ وهو العام الذى صنف فيه كتابه الموسوم بتاريخ مدينة قادس ، فيذكر انها بنيت من نوع من الحجر بنى اللون ، اقتطع من الموقع مما يدعو الى الاعتقاد بأن القنطرة رومانية الانشاء اقيمت على أكثر مواضع الزقاق الفاصل بين الجزيرة والبرضيقا ، وكانت تمتد على مسافة قدرها نحو ٢٥٠ مترا وعرضها ٨ر٣٥ مترا . وكانت للقنطرة ثلاثة عيون معقودة

Torres Balbás, el Castillo del Lugar de la Puente en la Isla de Cadiz, Al - Andalus, Cronica arqueologica No XXV, P. 274. (٥٣)
Ibid., P. 275. (٥٤)

منها عينان أكثر اتساعا من العين الثالثة ، كانت تعبر منهما السفن الصغيرة والكبيرة أيضا اذا ما أنزلت صواريخها . وقد وصل إلينا رسم تخطيطي يرجع تاريخه الى سنة ١٦٩٠م يمثل القنطرة ولكن بعقود خمسة بين دعائم ضخمة (°°) .

الحصن (أو الرباط ؟)

كان من الضروري حماية القنطرة الموصلة بين الساحل الجنوبي للاندلس وبين ساحل جزيرة قادس القريب منه وكذلك حماية الزقاق المقامة عليه القنطرة بحصن يحميها على غرار قنطرة قرطبة القائمة على نهر الوادي الكبير حيث يقوم عند مدخلها برج منيع ، وقنطرة طليطلة على وادي تاجه ، وقنطرة طريانه على الوادي الكبير باشبيلية . وحصن قنطرة قادس يتخذ مظهر التحصينات المسيحية ، ومن المرجح أنه كان يقوم على أساس حصن اسلامي ، وبنيان الحصن المذكور مبنية من الملاط والاجر وبنيته ذات تقانه ، ومجردة تماما من الزخرفة . وقد تعرض الحصن لاصلاحات وزيادات اضيفت اليه في العصور التالية لبنائه شوهت معالمه الاصلية بحيث أصبح اليوم أشبه بمجموعة من المساكن المتواضعة .

والحصن بناء مستطيل الشكل ٥١ × ٣٤م ، وله صحن مركزي فسيح مستطيل الشكل كذلك ، تدور به أربع أروقة سعة الرواق الواحد تتراوح ما بين ٤ أمتار و٦٠سم مترا . ويدعم جدرانها الخارجية في الأركان أبراج أربعة ضخمة ، الطابق الأدنى في اثنين منهما (بالجدار الشمالي الغربي) أصم ، ويبلغ طول جانب منهما ٥٠سم مترا . أما برجا الجدار الجنوبي الغربي فمزودان بغرف سفلية ، وهما أكثر ضخامة من البرجين

سالفى الذكر ، اذ يبلغ طول كل ضلع منهما عشرة امتار . ويتوسط كل من الجدارين الطويلين للمستطيل شرقا وغربا ركيزة ، الشرقية منهما اكثر ضخامة من الغربية ، كما يتوسط الجدار الجنوبي الغربى برج صغير يبرز من جدار السور . اما المدخل الوحيد للحصن فينفتح فى الجدار الجنوبي الشرقى على مقربة من البرج الاوسط الكبير ، وقد فتح هذا المدخل بعيدا عن وسط الجدار لتأمين الدفاع عنه وليكون على مقربة من البرج الواقع فى الزاوية الشرقية من الحصن .

وبيلغ سمك الجدران نحو متر ، فى حين يبلغ بالنسبة للجدران الخارجية له مترين . وتنقسم الأورقة المحيطة بالصحن الى قطاعات صغيرة مستطيلة الشكل تؤلف غرضا ضيقة ومرتفعة يتصل معظمها فيما بينها عن طريق عقود واسعة الفتحات ، ولا منافذ لها سوى الأبواب المطلة على الصحن والتي يتسرب منها الضوء الى الداخل (٥٦) . ويسقف هذه الغرف قبوات مختلفة الشكل بعضها نصف كروية ، وبعضها الآخر متعارضة ، ومتقاطعة أو من ذوات المقاطع الثمانية . وفى أحد أركان الأروقة بالزاوية الشمالية درج يؤدي الى سطح الحصن . ويتساءل العالم الأثرى توريس بلباس عما اذا كان هذا الحصن فى الأصل بناء اسلاميا أو بناء مسيحيا ، ويميل الى القول بأنه أقدم فى ظل الحكم المسيحى فيما يقرب من سنة ١٣٢٨ على أيدي عرفاء من المسلمين أقاموه وفقا لنظام الأربطة الذى ألفوه ، وربما حاكوا فى بنائه رابطة روطة القريبة من قادس والتي كانت محجة لأهل الأندلس قاطبة . ويستند فى هذا الرأى الى أن القبوة ثمانية المقاطع لم تظهر قبل القرن الثالث عشر

الميلادى . اما القس خيرونيمو دى لاكلنثيون فيرجعها الى الفونسو الحادى عشر (٥٧) .

ومن الواضح ان نظام بناء حصن القنطرة اقرب من حيث التخطيط ومن حيث الأسلوب ومواد البناء الى الأبنية الاسلامية والمدجنة : فالتخطيط الى أروقة تحيط بصحن مستطيل الشكل ، وتقسيم الاروقة الى غرف متصلة فيما بينها ، ووجود أبراج وركائز خارجية تدعم جدران الحصن ، من المظاهر الشائعة فى العمارة الاسلامية فى المشرق والمغرب على السواء ، ونشده مطبقا فى بناء القياصر والمدارس والفنادق والأربطة ، واقرب الأمثلة الاسلامية الى تخطيط حصن القنطرة بقادس رباط سوسة الذى اقامه الأمير زيادة الله بن الاغلب فى عام ٢٠٦هـ (٨٢١-٨٢٢م) (٥٨) .

ولا نستبعد أن يكون الحصن المذكور رابطة اسلامية الانشاء ، اذ كانت الرباطات تقام عادة على السواحل أو فى المناطق الثغرية حيث ينتجعها زهاد المسلمين والمجاهدين فى سبيل الله ، وكانت تتخذ مراقب للحراسه . واقرب رابطة لقادس ورد ذكرها فى المصادر العربية رابطة روضة التى كانت قائمة عند مدخل قادس والتى زارها محيى الدين بن عربى فى سنة ٥٩٤هـ (١١٩٧م) (٥٩) .

(٥٧) Jeronimo de la Concepcion, Emporio de Orbe : Cadiz ilustrada, Amsterdam, 1690, p. 320, Apud. Torres Balbás, op. cit., p. 288

(٥٨) عن هذا الرباط أرجع الى :

Georges Marçais, Notes sur les Ribats en Berberie, dans Mélanges René Basset, t. II, Paris, 1925, pp. 395-430-Georges Marçais, L'architecture musulmane d'Occident, P. 31 - Creswell, a short account of early muslim architecture, Pelican Books, 1958, pp. 231-232.

احمد فكرى ، المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها ، الاسكندرية ١٩٦١ ، ص ٢٥٣ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ص ٤٤٩ - ٤٥١ .

والمعروف ان ملوك اسبانيا المسيحية كانوا يعيدون استخدام
الأبنية الاسلامية ويضيفون اليها مرافق وملحقات من أسلوب عصرهم
او وفق الأسلوب المدجن كالشان في قصر اشبيلية وقصر الجعفرية
بسرقسطة وفي آثار أخرى عديدة .

المصادر والمراجع

اولا - المصادر العربية

- ١ - الادريسي (الشريف أبو عبد الله محمد) : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، نشر دوزى ودى غويه ، ليدن ، ١٦٦٨ .
- ٢ - ابن الأبار (أبو عبيد الله القضاعي) : الحلة السراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٣ - « » : التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق جنثالث بلنثيه ، مدريد ، ١٩١٥ .
- ٤ - ابن الأثير (عز الدين على بن أحمد) : الكامل في التاريخ ، طبعة مصوره من طبعة ليدن ١٨٦٥ ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ٥ - ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسي) كتاب الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق تورنبرج ، أو بساله ١٨٤٣ .
- ٦ - « » : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، الرباط ، ١٩٧٢ .
- ٧ - ابن بصال (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم) : كتاب الفلاحة ، نشره خوسيه ماريه مياس ببيكروسا ومحمد عزيमान ، تطوان ، ١٩٥٥ .
- ٨ - ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبيد الله) : كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، نشره دون فرنشيسكو كوديره ، مدريد ، ١٨٨٣ .

٩ - ابن حيان (ابو مروان حيان بن خلف القرطبي) : كتاب المقتبس
من انباء اهل الاندلس :

١ - قطعة خاصة بعهد الأمير عبد الله ، نشرها الأب
ملشور انطونيه ، باريس ١٩٣٧ .

ب - قطعة تؤرخ للسنوات الأخيرة من عهد الأمير عبد
الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، نشرها بدور
محمود على مكى ، بيروت ، ١٩٧٣

ج - قطعة تؤرخ للسنوات الثلاثين الأولى من عهد عبد
الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، نشرها بدور
شاليتا وف . كورينطى ومحمود صبح ، مدريد ، ١٩٧٩

د - قطعة من عهد الحكم المستنصر ، نشرها د . عبد
الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٥ .

١٠ - ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) : أعمال الاعلام
فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام ، نشر وتحقيق
ليفى بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٤ .

١١ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ
والخبر ، المقدمة والجزآن الرابع والسادس ، بيروت
١٩٦١ .

١٢ - ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى) : المغرب فى حلى المغرب،
تحقيق د . شوقى ضيف ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

١٣ - » » : اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى ، تحقيق
الأستاذ ابراهيم الابيارى ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١٤ - ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن أحمد الباجي) : تاريخ المن
بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم
الوارثين ، تحقيق د. عبد الهادي التازي ، بيروت ،
١٩٦٤ .

١٥ - ابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد) : البيان المغرب في
أخبار الأندلس والمغرب ، أربعة أجزاء ، نشرها د.
أحسان عباس ، والجزء الرابع منها قطعة من تاريخ
المرابطين ، بيروت ، ١٩٦٧ .

١٦ - ابن عذارى المراكشي : القسم الثالث من البيان المغرب الخاص
بعضر الموحدين ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ،
بيروت ١٩٨٥ .

١٧ - » » » : نص جديد من البيان المغرب من عصر
الموحدين ، نشره الاستاذ عبد القادر زمامه في صحيفة
المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، عدد ٢٠ ،
مدريد ، ١٩٨٠ .

١٨ - ابن غالب (محمد بن أيوب الأندلسي) : قطعة من كتاب فرحة
الأنفس ، نشرها وحققها الدكتور أحمد لطفي عبد البديع ،
مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٩ - ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) : فتوح إفريقية
والأندلس ، تحقيق البيرجاتو
Albert Gateau
الجزائر ، ١٩٤٧ .

٢٠ - ابن العطار القرطبي : الوثائق والسجلات ، نشر وتحقيق بدرو
شالميتا وكورينطي ، مدريد ، ١٩٨٣ .

٢١ - ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد الكتامي) : قطعة من كتاب نظم الجمان ، تحقيق د. محمود علي مكي ، منشورات كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس بالرباط ، تطوان .

٢٢ - ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) : تاريخ افتتاح الأندلس ، نشره دون خوليان ريبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦

٢٣ - ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزري) : تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق د. أحمد مختار العبادي ، مدريد ، ١٩٧١

٢٤ - البليزق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) : كتاب المهدي بن تومرت ، تحقيق د. عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، ١٩٧٤

٢٥ - البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق د. عبد الرحمن الحجى ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٣٦ - » » : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، نشر دى سلان ، الجزائر ، ١٩١١ .

٢٧ - التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد) : رحلة التجاني ، تحقيق الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ١٩٥٨

٢٨ - الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٢٩ - الرازي (أحمد بن محمد بن موسى) : وصف الأندلس من الترجمة الفرنسية للنسخة البرتغالية ، عنى بها ليفى بروفنسال ، صدرت في مجلة الأندلس بعنوان :

La Description de l'Espagne d'Ahmad al - Razi, al - Andalus,
Vol. XXIII, Fasc. 1, 1953.

٣٠ - الزهرى (ابو عبد الله محمد بن أبى بكر) : كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، دمشق ١٩٦٨ .

٣١ - العذرى (أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى) : ترصيع الأخبار ، وتنويع الآثار ، والبستان فى غرائب البلدان ، والمسالك الى الممالك ، تحقيق د. عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥ .

٣٢ - مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس مولينا ، مدريد ، ١٩٨٣ .

٣٣ - » » : مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، نشر وتحقيق ليفى بروفنسال واميليوغرسيه غومس ، عنوانها :

Una crónica anónima de Abd al - Rahman III, al - Nasir, Madrid - Granada, 1950.

٣٤ - » » : أخبار مجموعة فى تاريخ الأندلس ، نشره دون لافونتى القنطرة ، Lafuente Alcántara ، مدريد ، ١٩٦٧ .

٣٥ - » » : الحلل الموشية ، تحقيق الاستاذين سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ .

- ٣٦ - الميدانى : مجمع الأمثال ، ج ١ ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ
- ٣٧ - المراكشى (عبد الواحد بن على) : المعجب فى تلخيص انباء المغرب ، نشر وتحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- ٣٨ - المسعودى (أبو الحسن على) : التنبيه والاشراف ، ليدن ، طبعة مصورة ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ٣٩ - المقرئ (أحمد بن محمد التلمسانى) : نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- ٤٠ - النباهى (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقى) : تاريخ قضاة الأندلس ، المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، بيروت ١٩٨٣ (نسخة مصورة من طبعة القاهرة ١٩٤٨) .
- ٤١ - ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى) : معجم البلدان ، طبعة بيروت ، ٥ مجلدات ، بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .

ثانيا - المصادر الاسبانية المسيحية

- 1 — Primera Crónica General de España, t. II, de la tercera reimpr-
esión, ed. por Ramon Menendez - Pidal, Madrid, 1977
- 2 — Crónica de los Reyes de Castilla, ed. y trad por Antonio
Garcia Martinez, Murcia, 1982.
- 3 — De Horozco (Agustin) Historia de la ciudad de Cadiz, Cadiz,
1845.

ثالثا - المراجع العربية الحديثة

أمارى (ميشيل) : المكتبة الصقلية ، نصوص تاريخية جمعها ونشرها
ميشيل أمارى ، فى ١٨٥٧ .

حسين (دكتور حمدى عبد المنعم) : التاريخ السياسى لمدينة اشبيلية فى
العصر الأموى ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ .

» » : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة فى عصر الامارة
الأموية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ .

ذنون طه (دكتور عبد الواحد) : دراسات فى التاريخ الأندلسى ، مقال
عنوانه : «نظرية عصرية لعملية عبور مضيق جبل طارق
ومعركة كورة شذونة » ، الموصل ، ١٩٨٧ .

» » : دراسات أندلسية ، مقال عنوانه : «أهم المعارك الحاسمة
التي كان لها دور فى انجاز الفتح » ، الموصل ، ١٩٨٦ .

سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،
بيروت ، ١٩٦٢ .

» » : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، ج ١ ، الاسكندرية ،
١٩٨٤ .

» » : تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب
والأندلس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ،
عدد ٢٣ ، محريد ١٩٨٦ .

» » : و د . أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية
فى المغرب والأندلس ، الاسكندرية .

سالم (د. السيد عبد العزيز) : المغرب الكبير ، ج ٢ ، العصر الاسلامي ،
الاسكندرية ، ١٩٦٦ .

» » : (دكتورة سحر السيد عبد العزيز) : بنو خطاب بن عبد
الجبار التدميري ، الاسكندرية ١٩٨٩ .

» » : التاريخ السياسي لبطلينوس الاسلامية ، رسالة ماجستير
مقدمة لكلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، والجزء
الاول المطبوع منها ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .

العبادي (دكتور أحمد مختار) : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس :
الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

عبد الحكيم (دكتور محمد صبحي) : مدينة الاسكندرية ، القاهرة

عنان (الأستاذ محمد عبد الله) : دول الطوائف ، القاهرة ، ١٩٦١

» » : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القسم
الاول : عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، القاهرة
١٩٦٤ .

» » : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، القسم
الثاني : عصر الموحدين وانهايار الاندلس الكبرى ، القاهرة
١٩٦٤ .

فكري (دكتور أحمد) : المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها
الاسكندرية ، ١٩٦١ .

مؤنس (دكتور حسين) : غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتي
٢٢٢٩هـ ، ٢٢٤٥هـ المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١ ،
مجلد ٢ ، مايو ١٩٤٩ .

» » : فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩

» » : تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ، ١٩٦٧ .

» » : فتح المسلمين للاندلس ، دعوة الى ترديد النظر في
الموضوع ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ،
المجلد ١٨ .

» » : رحلة الاندلس

رابعاً - المراجع الأوربية الحديثة

Albarran (Manuel Torron) : et Solar de los Aftasiés.

Anónimo : Cadiz, Colección España en Paz.

Anwarr Cheijne, Historia de España musulmana, Madrid.

Arié (Rachel) : España musulmana, siglos VIII - XV, Barcelona, 1982

Baltesteros (Antonio Brieta) : La toma de Salé en tiempo de Alfonso X el Sabio, al - Andalus, Vol. VIII, 1943.

Bleye (Aguado) : Manual de la historia de España, t. I, Madrid, 1947

Bosch Vila (Jacinto) : los Almorávides, Tetuan, 1954.

Codera (Francisco) : Los Beni Meruan en Merida y Badajoz, Madrid, 1917.

Creswell : A short account of early muslim architecture Pelican series, 1958.

Lévi - Provençal (E.) : Histoire de l'Espagne musulmane, 3 vols. Paris, 1950 - 1954.

Marçais (Georges) : Notes sur les Ribats en Berbérie, dans «Mélanges René Basset», t. II, Paris, 1925.

« « : L'architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954.

Menéndez - Pidal (Ramón) : La España del Cid., t. I, Madrid, 1947

Miranda (Ambrosio Huici) : Encyclopedia of Islam, art, Kadis.

« « : Historia política del Emperio almohade, t. I, Tetuan, 1957.

- 108 -

Montavez (Pedro Martinez) : Perfil del Cadiz hispano - árabe, ed. de la Caja de Ahorros de Cadiz, Madrid.

Moreno (Manuel Gomez) : Iglesias Mazárabes, Madrid, 1919.

Oliviera (Antonio Ramos) : Historia de España, la Edad . Media, Mexico, 1974.

Palacios (Miguel Asin) : el Islam Cristianizado, estudio del Sufismo, Madrid, 1931.

Romero de Torres (Enrique) : Catálogo monumental, Provincia de Cadiz, Madrid, 1934.

Saavedra (E.) : Estudio sobre la invasión de los Arabes en España, Madrid, 1892.

Torres Balbas (Leopoldo) : Atarazanas Hispanomusulmanas, en Obra dispersa, Vol. 3.

« « : La mezquita de al - Qanatir y el santuario de Alfonso el Sabio en el Puerto de Santa Maria, al - Andalus, vol. VII, 1942.

» » : el Castillo del Lugar de la Puente en la Isla de Cadiz, al - Andalus, Crónica arqueologica de España, No XXV.

محتويات الكتاب

فهرس الموضوعات

الاهداء	٥
المقدمة	٧ - ١٠

الفصل الأول

التعريف بقادس

١ - جزيرة قادس : الاسم والموقع والاقليم	١٣
٢ - وصف جزيرة قادس	٣١
أ - جسر المياه	٣٨
ب - الجباب والصهاريج	٣٨
ج - منار قادس وصنم هرقل	٤٠
د - الاربطة والقلاع	٤٦

الفصل الثانى

تاريخ جزيرة قادس منذ الفتح الاسلامى للاندلس حتى سقوطها

الخلافة الاموية

١ - فتح المسلمين لجزيرة قادس	٤٩
٢ - قادس فى عصر الامارة الاموية	٥٦
أ - غزوة النورمان الاولى سنة ٢٢٩ هـ	٦٣
ب - الغارة النورمندية الثانية سنة ٢٤٥ هـ	٦٥
د - قادس فى عصر دويلات الطوائف الاول	٦٦
(٢٧٢ - ٣١٦ هـ)	
٣ - قادس فى عصر الخلافة الاموية	٧٩

الفصل الثالث

قادس ما بين قيام دويلات الطوائف وسقوطها في أيدي

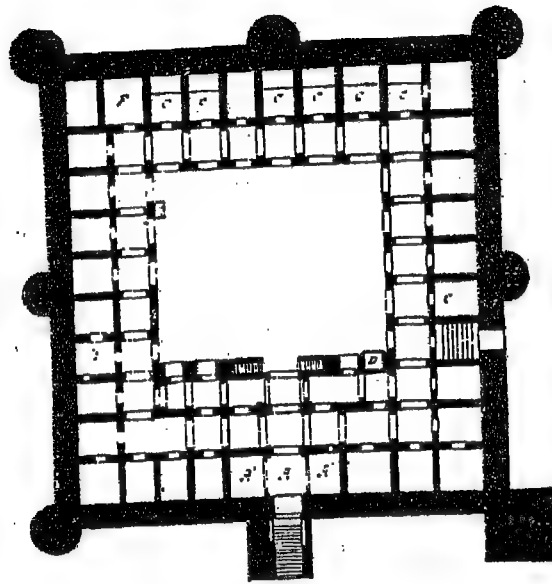
القشتاليين سنة ٦٦٢هـ

- ١ - الوضع السياسي لجزيرة قادس في عصر دويلات الطوائف .. ٨٧
- ٢ - جزيرة قادس في عصر دولتي المرابطين والموحدين .. ٩٤

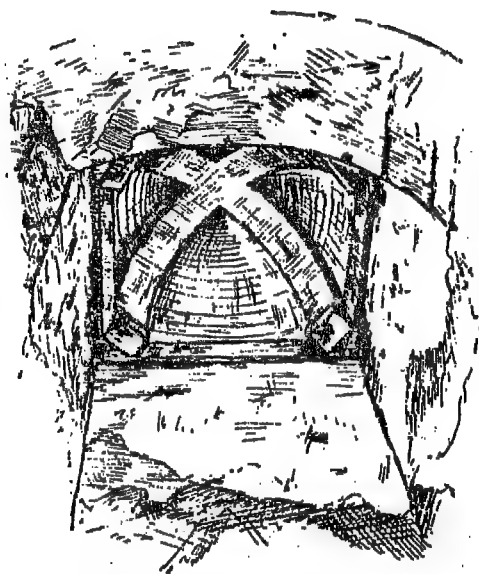
الفصل الرابع

ملاحح حضارية لقادس الاسلامية

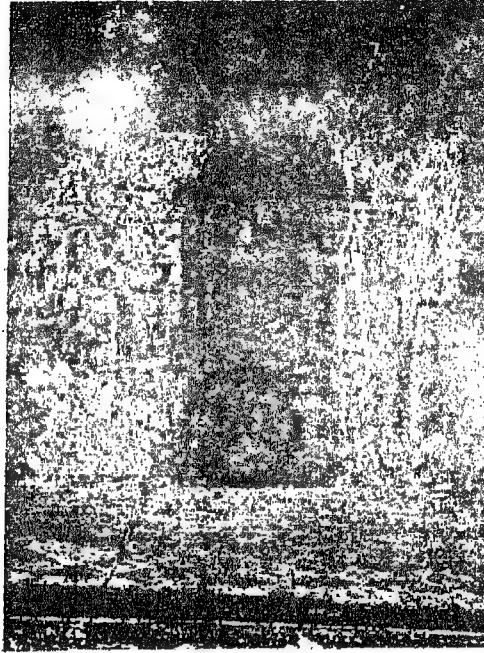
- ١ - الحياة الاقتصادية ٢٥
- ٢ - الحياة العلمية ٢٢
- ٣ - الآثار الاسلامية الباقية ٣٤
- آثار رابطة روطه ٣٥
- مسجد القناطر ٣٥
- قنطرة قادس ٣٨
- الحصن (او الرباط ؟) ٤٠
- المصادر والمراجع
- أولا - المصادر العربية ٤٧
- ثانيا - المصادر الامبانية المسيحية ٥٣
- ثالثا - المراجع العربية الحديثة ٥٤
- رابعا - المراجع الاوروبية الحديثة ٥٧



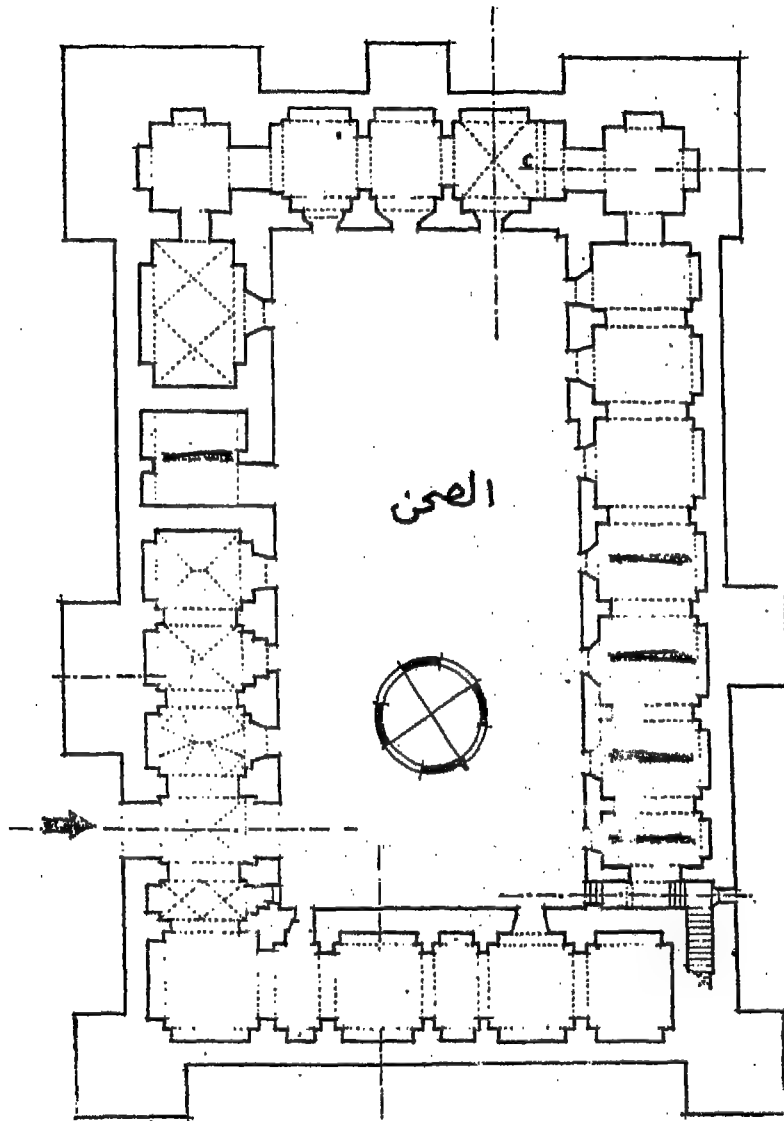
رباط سوسنة بتونس



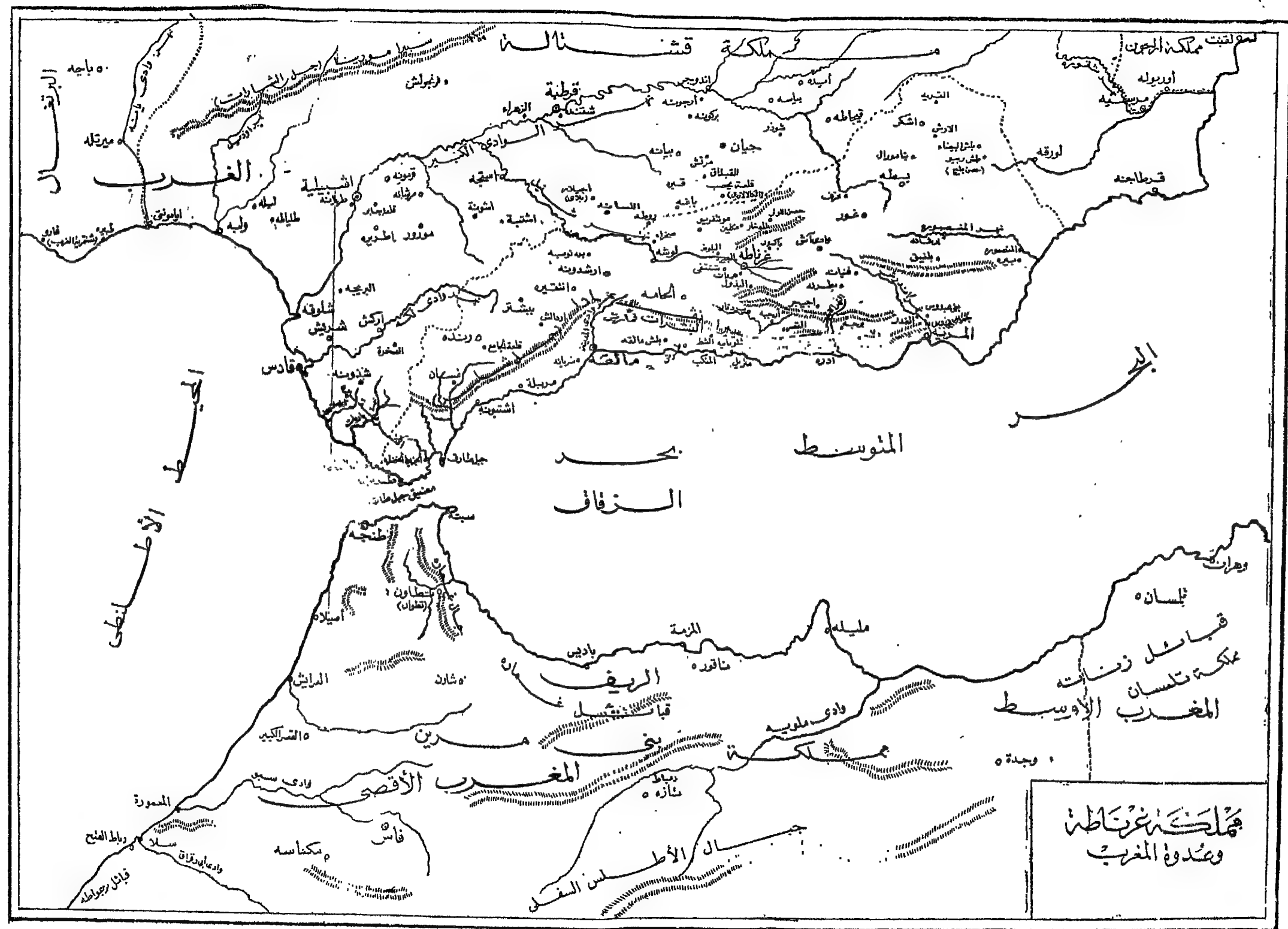
قبوة المحراب بمسجد البويرتو
دى سانتا ماريا (قادس).

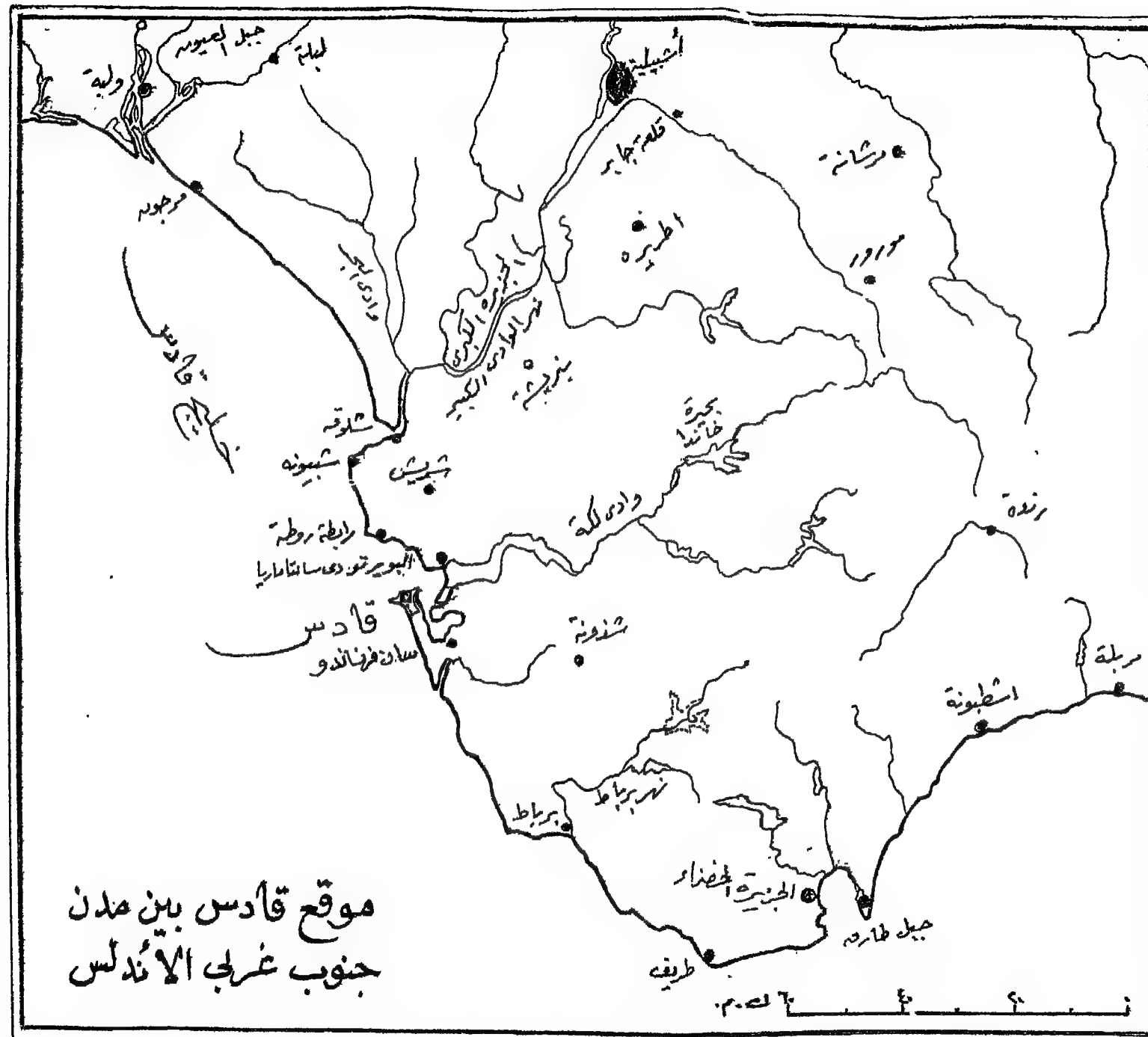


فتحة المحراب بمسجد البورتودي سانتا مارية (قادس)



سان فرناندو (قادس) مسقط افق للحصن





الترقيم الدولي ٢ - ٠٦٠ - ١٥٤ - ٩٧٧
رقم الايداع ١٩٨٩ / ٨٥٦١

تم بحمد الله

